سجدات التلاوة في القرآن الكريم

دراسة دلالية

.....

م. د. أحمد حاتم حامد سعود

مدرس في مديرية تربية الأنبار - الرمادي

رقم الهاتف/ ٠٧٩٠٢٦٦٩٨٧٢

أ.د. بيان شاكر جمعة

قسم اللغة العربية- كلية التربية للعلوم الإنسانية- جامعة الأنبار

رقم الهاتف/ ٠٧٨٠٣٦٤٠٤٣٤

الملخص

لقد درسنا في بحثنا هذا المشكلات الفقهية التي ظلت محصورة إلى زمن بعيد بيد الفقهاء والعارفين بعلوم الفقه وأصوله دراسة دلالية متعمقين في ذلك لكي نقدم حلاً لمشكلة فقهية خلافية- وهي تحديد مواضع سجود التلاوة في النص القرآني الشريف- غير ناسين الأصول التي يمكن الإفادة منها بدءًا بالنص القرآني والسنة النبوية الشريفة والمرويات التاريخية وصولاً- من خلال هذه الأصول- إلى فهم المشكلة الفقهية فهمًا صحيحًا دقيقًا ودراستها دراسة دلالية للموضع المُشْكَل على أن لا نجعل من هذه الجوانب حاكمة للجانب الدلالي بل أن نعتمدها في الحلول التي يمكن تقديمها.

وقد رتبنا آيات السجدات حسب ورودها في المصحف الشريف، وذكرنا الخلاف فيها وأسباب نزولها والمعنى الذي وردت فيه.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله رب العالمين

كلمات مفتاحية: السجدة، التلاوة، القرآن الكريم، دراسة دلالية

Recitation of Sajidat in the Holy Quran A Semantic Study

Assist. Dr. Ahmed Hatim Hamid Sood
A Teacher in the Directorate of Anbar Education- Ramadi
Prof. Dr. Bayan Shakir Neema
Department of Arabic Language- College of Education for Humanities- Anbar University

Abstract

In our research, we have studied the doctrinal problems that have long been confined in the hands of jurist and scholars in the origins of jurisprudence as a semantic study of the evidence to provide a solution to a controversial doctrinal problem. This problem lies in determining the positioning of Sajidat recitation in the Holy Qur'anic text – taking into consideration the Qur'anic and Sunnah texts and the historical narration. Depending on these texts, we try to understand the doctrinal problem accurately and to study it in a semantic study of the problem position and not to make these aspects semantically but to adopt them in the solutions that can be presented.

We ordered the verses of Sajidat as they were listed in the Holy Quran, and we mentioned the disagreement, the reasons for its descendant and the meaning of them .

Finally, Praise be to Allah, Lord of the Worlds

Key words: Sajida , Recitation , Holy Quran, a Semantic study

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد..

فإن البحث في المشكلات الفقهية ظل محصورًا بين أيدي الفقهاء على مدى زمني طويل يستعرضون فيها خلافاتهم القائمة على التنوع في الفهم والتعدد وفق الروايات المنقولة عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وعن آله وصحابته رضي الله عنهم أجمعين، ويبدو أن أفق التفكير في حل لهذه المشكلات بات مغلقًا على ما تم قوله أو الوصول إليه وفي الأعم الأغلب تم وضع كل الحلول الممكنة من قبل الرعيل الأول الذي أعطى ما عنده قبل بداية القرن الرابع الهجري، ولم يبق للمتأخرين سوى الشرح والإيضاح والعرض والتفسير.

ومع مجيء عصرنا بات ممكنًا أن ندلي دلونا بشكل ما في هذه الخلافات عسى أن نسهم في حلها يومًا ما أو في حل جزء منها على الأقل، وخصوصًا تلك المسائل التي تتعلق بالدلالة والفهم البعيدة عن القطعية النصية.

ومن الجدير بالذكر أن نقول بأننا سنعتمد على الدراسة الدلالية لكي نقدم حلًا لمشكلة فقهية خلافية وهي تحديد مواضع سجود التلاوة في النص القرآني الكريم، غير ناسين الأصول التي يمكن الإفادة منها والتي تدور حول النص القرآني والسنة النبوية الكريمة والمرويات التاريخية التي يمكنها أن تساعدنا في تقديم الدراسة الدلالية للوضع المشكل على أن لا نجعل من هذه الجوانب حاكمة للجانب الدلالي بل أن نعتمدها في الحلول التي يمكن تقديمها.

والمشكلة التي اخترناها –وهي مشكلة مواضع سجود التلاوة– مشكلة بسيطة ويمكننا أن نعتمد عليها بوصفها مدخلًا لتقديم فرضية السياق في الدرس الدلالي ودوره في حل الخلافات الفقهية، فهي مشكلة دارت الخلافات حول تفاصيلها الدقيقة على الرغم من عدم وجوبها لدى الكثير من الفقهاء.

وأخيرًا فأن ما نطرحه ليس قانونًا وإنما هي فرضية يمكن أن تثبت نجاعتها، ويمكن أن لا تقدم لنا شيئًا، فالحكم على مدى هذا النجاح يمكننا إطلاقه بعد الخوض في تفصيلات المشكلة وعرض الاعتراضات ومناقشتها وبعد معرفة مدى القبول الذي يمكن أن تلقاه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أولاً: عرض الخلاف

اختلف الفقهاء في سجدة التلاوة حول الكثير من التفصيلات الفرعية المتعلقة بأحكامها"[١]"، وإذا استثنينا هذه الخلافات فإننا نجد أن هناك خلافا بين الفقهاء حول مواضع سجدة التلاوة في القرآن الكريم، وقد لخصها صاحب كتاب البناية شرح الهداية وهو أبو محمد بن أحمد الحنفي بدر الدين العيني على الشكل الآتي:

الأول: مذهب الحنفية- وهو أربعة عشر سجدة، في الأعراف وفي الرعد، والنحل، والإسراء، ومريم، والأولى في الحج، والفرقان، والنمل، والسجدة، وص، وفصلت، والنجم، والانشقاق، والعلق.

الثاني: إحدى عشرة، بإسقاط الثلاثة من المفصل، وبه قال الحسن وابن المسيب وابن جبير وعكرمة، ومجاهد وعطاء وطاوس ومالك في ظاهر الرواية والشافعي في القديم.

الثالث: خمس عشرة، وبه قال المدنيون عن مالك تكملتها بآية الحج الثانية وهو مذهب عمر وابنه عبد الله والليث وإسحاق، ورواية عن أحمد وابن المنذر واختاره المروزي وابن شريح.

الرابع: أربع عشرة، بإسقاط سجدة ص وإثبات سجدة الحج الثانية وهو أصح قولي الشافعي وأحمد.

والخامس: أربع عشرة بإسقاط سجدة النجم، وهو قول أبي ثور.

السادس: اثنتا عشرة بإسقاط ثانية الحج وص والانشقاق، وهو قول مسروق.

السابع: ثلاث عشرة بإسقاط ثانية الحج والانشقاق، وهو قول عطاء الخراساني.

الثامن: إن عزائم السجود خمس؛ الأعراف والإسراء والنجم والانشقاق والعلق، وهو قول ابن مسعود - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -.

التاسع: عزائمه أربع، السجدة وفصلت، والنجم، والعلق، وهو مروي عن علي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

والعاشرة: عزائم السجود ثلاث، قاله سفيان بن جبير، وهي السجدة، والنجم، والعلق.

الحادي عشر: عزائم السجود السجدة، والأعراف، وفصلت، والإسراء، وهو مذهب عبيد بن عمير.

الثاني عشر: عشر سجدات، قال به جماعة"[٢]".

ويبدو من هذا العرض أننا نستطيع أن نقدم النتائج الآتية:

أ- لا نستطيع أن نحدد أية سجدة من سجدات القرآن بوصفها سجدة يتفق عليها الجميع.

ب- كل رأي من الآراء يعتمد في تحديد السجدات بحسب ما وصله علمه أو ما وصل إليه من روايات يعتد بها.

ت- أكبر عدد من السجدات يمكن أن يصل إلى ست عشرة سجدة بجمع جميع الآراء.

ث- أقل عدد من السجدات كان ثلاث سجدات (السجدة، والنجم، والعلق).

ج- السجدات التي يدور حولها الحديث والخلاف تقع في المواضع الآتية:

- الأول: آخر سورة الأعراف، عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ "[٣]".

- الثاني: في الرعد عند قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾ "[٤]".

- الثالث: في النحل عند قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ﴾ "[٥]".

- الرابع: في الإسراء عند قوله تعالى: ﴿ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ ﴾ "[٦]".

- الخامس: في سورة مريم عند قوله: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ ﴾ "[٧]".

- السادس: في سورة الحج عند قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۗ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ ﴾ "[٨]".

- السابع: في سورة الحج عند قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ "[٩]".

- الثامن: في سورة الفرقان عند قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾ ﴾ "[١٠]".

- التاسع: في سورة النمل، عند قوله تعالى: ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ ﴾ "[١١]".

- العاشر: في سورة {الم} السجدة، عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ "[١٢]".

- الحادي عشر: في سورة ص، عند قوله: ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ ﴾ "[١٣]".

- الثاني عشر: في سورة فصلت، عند قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ "[١٤]".

- الثالث عشر: في آخر سورة النجم، عند قوله تعالى: ﴿ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ﴿٦٢﴾ ﴾ "[١٥]".

- الرابع عشر: في سورة الانشقاق عند قوله تعالى: ﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ "[١٦]".

- الخامس عشر: في آخر سورة العلق عند قوله تعالى: ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴿١٩﴾ ﴾"[١٧]".

- السادس عشر: في آيَةِ الْحِجْرِ: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾"[١٨]".

كما أن هناك موضعًا آخر للخلاف يتجلى في تحديد موضع السجدة بالضبط في السورة من بين الآيات المقصودة وعلى الشكل الآتي:

- سجدة سورة (ص) قال الحَنَفِيَّةَ فِي الصَّحِيحِ عِنْدَهُمْ: إنَّ السُّجُودَ عِنْدَ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ "[١٩]" وقَالَ الْمَالِكِيَّةُ: السُّجُودُ عِنْدَ قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَ: ﴿ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ ﴾"[٢٠]" "[٢١]" وقد نقل ابن العربي القول الأول عن الشافعية"[٢٢]".

- سجدة سورة فصلت يرى المالكية إنَّ السُّجُودَ عِنْدَ قَوْله تَعَالَى: ﴿ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾"[٢٣]" "[٢٤]" والجمهور على السجود عند ﴿ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴾"[٢٥]".

- سجدة سورة النمل قَالَ الشَّافِعِيُّ أنها عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾"[٢٦]" وَقَالَ مَالِكٌ وَأَبُو حَنِيفَةَ: يُسْجَدُ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾"[٢٧]"، "[٢٨]".

ثانيًا: فرضيات واستنتاجات قديمة.

لقد استعرضنا الخلاف الحاصل حول آيات السجود للتلاوة في القرآن الكريم مما يتعلق بعددها ومواضعها، ويبدو من هذا الاستعراض أن الخلاف الدائر حول عدد السجدات متأت من تعدد الروايات واختلافها حتى وصل الأمر إلى أن يختلف الرواة حول سجدة العلق فيروي بعضهم أن النبي محمدا صلى الله عليه وسلم قد سجدها حينما كان في مكة المكرمة ولم يسجدها حينما صار في المدينة المنورة"[٢٩]"، وبعيدا عن هذه الخلافات فإن الخلافات التي عرضناها حول مواضع السجود يمكن حلها دلاليًا أو هكذا نبتغي بما أن الروايات والفقهاء اختلفوا فيها إلى حد كبير ولم نتمكن من الوصول معها إلى حل مرضٍ.

وقد حاول بعض العلماء وضع قواعد لمعرفة مواضع السجدات نجد أنفسنا ملزمين بالتعريج عليها إذ يرى بعضهم أن السجدات المتفق عليها وردت في مواضع بصيغة الإخبار وفي مواضع أخرى بصيغة الأمر بالسجود، ومواضع الأمر قد اتفق على أنه لا يجوز فيها السجود، من أجل أنها تعليم، وقد صاغوا لها قاعدة تقول: (وكل سجدة بلفظ الخبر لم يختلفوا أنها يسجد فيها)"[٣٠]"، وصاغ بعضهم قاعدة تخص السجدات من أجل وضع أصول أو أسس في علوم القرآن فقالوا مثلا: (كل سورة فيها سجدة تلاوة فهي مكية)"[٣١]" وهي قواعد تمت صياغتها بعد الوصول إلى عدد السجدات كما يفرضه المذهب الفقهي المتبع.

وقد وقف بعضهم أمام أنواع السجود مصنفا إياها بحسب ما وردت في القران الكريم متفكرا في أشكالها وهذا ما قام به ابن تيمية مثلا إذ رأى إنها على نوعين: خبر عن أهل السجود ومدح لهم، أو أمر به وذم على تركه، وهي سجدات الأعراف والرعد والنحل والاسراء ومريم، والحج الأولى والفرقان والنمل والسجدة وص، وأما الأمر الصريح بالسجود فقد ورد في فصلت والنجم والانشقاق والعلق، فالستة الأول إلى الأولى من الحج خبر ومدح. والتسع البواقي من الثانية من الحج أمر وذم لمن لم يسجد، إلا ص"٣٢"، ولكن هذا الكلام لن يقدم لنا شيئا لأن هناك الكثير من المواضع التي ورد فيها لفظ السجود أمرا أو خبرا ولم يكن فيها سجود تلاوة، ولذا فإن هذا لا يصلح معيارا دقيقا للتمييز ولإجابة السؤال: لم نسجد في هذه المواضع دون غيرها؟.

ثالثًا: لفظة سجد في المعاجم والقرآن الكريم.

ولكي نتعرف على المواضع المختلف عليها ومن ثم نتبين إمكانية صياغة موقف عام يجمعها، سنبدأ دراستنا بالوقوف على لفظة سجد في اللغة العربية والقرآن الكريم كي تصح لنا مدخلا ملائما، إذ تأتي (سجد) في العربية بمعنى انتصب في لهجة طيء وأما اللهجات الأخرى فتستعمل لفظة سجد بمعنى وضع جبهته على الأرض، وسجد الرجل إذا انحنى وتطامن إلى الأرض وطأطأ رأسه، والإسجاد فتور الطرف، وقيل إدامة النظر مع سكون، وعين ساجدة إذا كانت فاترة، وعن أبي عبيدة أعطونا الإسجاد بمعنى الجزية، وسجدت النخلة إذا مالت، وسجد بمعنى خضع، وقد ورد بمعنى التحية"[٣٣]" ومن هذه المعاني نستطيع الإشارة إلى أن المعاني العديدة التي استعملت في اللفظة إنما اشتقت من المعنى الأول الذي وضع للسجود وهو وضع الجبهة على الأرض، ومن هذا المعنى خرج الخضوع والتذلل وفتور الطرف وإدامة النظر.

وأما في القرآن الكريم فقد وردت اللفظة بالأشكال الآتية:

١- في الآيات التي فيها سجدة تلاوة:

- المضارع بصيغة الجمع في ثلاثة مواضع قوله تعالى: ﴿ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾ ﴾"[٣٤]" و ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾"[٣٥]" و ﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ ﴾"[٣٦]".

- والمضارع بصيغة المفرد في ثلاثة مواضع قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾"[٣٧]" و ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾"[٣٨]" و﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾"[٣٩]".

- وفعل الأمر بصيغة الجمع في أربعة مواضع، الأول: قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾"[٤٠]"، والثاني: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ

﴿ أَسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾ ﴾ "٤١"، والثالث: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ ﴾ "٤٢"، والرابع: ﴿ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ۩ ﴿٦٢﴾ ﴾ "٤٣".

- وفعل الأمر بصيغة المفرد في موضع واحد في قوله تعالى: ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾ ﴾"٤٤".

- اسم الفاعل المجموع بصيغة المبالغة (سُجّد) في ثلاثة مواضع في قوله تعالى: ﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ ﴾ "٤٥" و ﴿ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ﴾ "٤٦" و ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾ "٤٧".

- واسم الفاعل المجموع بصيغة جمع مذكر سالم في موضع واحد بقوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ "٤٨".

- وبدون ورود لفظة السجود في موضع واحد بقوله تعالى: ﴿ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ ﴾"٤٩".

٢- وبالمقابل فإن لفظة سجد التي ليس فيها سجود تلاوة وردت في ثلاثة مواضع:

الأول: يتعلق بسجود الملائكة وإبليس لأبينا آدم عليه السلام وهي مواضع سنستبعدها من البحث فورًا كيفما كانت صيغة ورودها لأنها لا تعرض السجود لله تعالى ولذا فهي غير موجبة أو مستدعية لسجدة التلاوة

الثاني: مواضع متفرقة في السجود لا تتعلق بالأمر الإلهي بالسجود وإنما تتناول مطلق السجود وتتجلى في:

- سجود أخوة يوسف له في قوله تعالى: ﴿ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ "٥٠" فهو منام أراه الله تعالى لنبيه يوسف عليه السلام وليس فيه سجود لله تعالى، وقد تكررت بصيغة الجمع في السورة نفسها بقوله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ

﴿ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾ "[٥١]" وهو موضع يقوم على التقدير والاحترام والخضوع من قبل إخوة يوسف عليه السلام وليس له علاقة بالسجود لله تعالى.

- كما وردت اللفظة بصيغة الجمع القائمة على اسم الفاعل (السجود) في قوله تعالى: ﴿ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾ "[٥٢]"، وقوله تعالى: ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ ﴾ "[٥٣]"، وهي مواضع لا يطلب فيها تعالى من البشر أن يسجدوا له ولكنه تعالى أراد من سيدنا إبراهيم وابنه أن يطهرا البيت العتيق للساجدين، ولذا ليس فيها دعوة للسجود إلا بمعناه العام الذي يتعلق بالصلاة وهو من باب المجاز ويسمى إقامة الجزء مقام الكل، بدليل أنه تعالى لم يصل بين السجود والركوع وجعلهما مرتبطين برباط الفصل (الركع السجود) بينما كان تعالى في ما سبقها من أحوال يستعمل الوصل (للطائفين والقائمين والركع) و (للطائفين والعاكفين والركع).

- ووردت اللفظة اسماً على هيئة المصدر وغيرها (المسجد والمساجد) لا يعنينا البحث فيها.

الثالث: يتعلق بالسجود لله تعالى إخبارًا أو أمرًا وهي المهمة في هذا المجال وقد وجدناها في المواضع الآتية:

- المضارع المثنى الغائب في قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ ﴾"[٥٤]" .

- المضارع لجمع الغائب في قوله تعالى: ﴿ ۞ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾"[٥٥]".

- والأمر بصيغة المفرد في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ ﴾ "[٥٦]".

- فعل الأمر للمؤنث المفرد في موضع واحد وهو قوله تعالى: ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ "[٥٧]".

- اسم الفاعل المفرد في موضع واحد وهو قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا ﴾"[٥٨]".

- اسم الفاعل بصيغة جمع المذكر السالم (ساجدون) في قوله تعالى: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْأٓمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾"٥٩"، وقوله تعالى: ﴿ وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾"٦٠"، وقوله تعالى: ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ "٦١"، وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ "٦٢".

- اسم الفاعل المجموع بصيغة جمع التكسير (سُجّد) في قوله تعالى: ﴿ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا ﴾"٦٣"، وقوله تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا ﴾"٦٤"، وقوله تعالى: ﴿ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ ﴾"٦٥"، وقوله تعالى: ﴿ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾"٦٦"، وقوله تعالى: ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا ﴾"٦٧"، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾"٦٨"، وقوله تعالى: ﴿ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾"٦٩".

ومن خلال هذا العرض يمكننا المقابلة بين الوضعين من خلال المسائل الآتية:

١- لم ترد سجدة في القرآن الكريم بصيغة الفعل الماضي (سجد، سجدوا)، لأنها تحدثت كلها عن امتناع إبليس من السجود لأبينا آدم عليه السلام، وسجود الملائكة له، ولأن الله تعالى لا يريد أن يخبرنا فقط عن مضي السجود وانتهائه بل يريد أن يبلغنا أن السجود حاصل في كل آن وممتد إلى ما شاء الله تعالى.

٢- ولم ترد سجدة في القرآن الكريم بصيغة المضارع المتكلم (أسجُدُ) لأنها تحدثت أيضًا عن اعتراض ابليس على سجوده لآدم عليه السلام.

ولم ترد سجدة في القرآن الكريم بصيغة المضارع المخاطب (تسجد، تسجدوا) فاللفظة الأولى جاءت لتقريع إبليس أيضًا لعدم سجوده، وأما الثانية (تسجدوا) فقد وردت في آية فيها سجدة تلاوة ولكن هذه السجدة ليست عند النهي عن الفعل (تسجدوا) بل عند فعل الأمر (اسجدوا) في قوله تعالى: ﴿ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ ﴾ وهذا أمر صريح بالسجود.

ولم ترد سجدة بصيغة المضارع المثنى الغائب (يسجدان) ويواجهنا هنا سؤال مهم: لِمَ لم ترد سجدة تلاوة هنا؟ في الوقت الذي وردت فيه سجدة تلاوة عند قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ وفي الحالين فإن الحديث يجري عن سجود غير العاقل؟ ويبدو أن السياق المتصل بهذه الآية لا يتطلب فعل السجدة هنا وهو ما سنتعرف عليه لاحقا .

كما وردت سجدة تلاوة بصيغة جمع المضارع المتكلم (نسجد) في قوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا ﴾.

٣- صيغة المضارع لجمع الغائب (يسجدون) وردت فيها سجدة تلاوة في قوله تعالى: ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ ، وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ ﴾.

وعلى الصيغة نفسها لم ترد سجدة تلاوة في قوله تعالى: ﴿ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ ، وربما كان ذلك لأن الحديث هنا عن بعض أهل الكتاب في معرض المدح لهم، كما أن السياق المحيط لم يكن يتركز حول من يسمع الآيات ويسجد عندها أو من يرى الدلائل الإعجازية فيسجد عندها، وأما قوله تعالى: ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ فقد وردت سجدة بعدها مباشرة.

٤- وردت سجدة تلاوة بصيغة الأمر للمفرد (اسجُدْ) في قوله تعالى: ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾ ﴾ ولم ترد في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ ﴾ وربما كان المقصود بالسجود هنا الصلاة عن طريق المجاز باستعمال الجزء وإرادة الكل.

وفي صيغة الأمر للمخاطب (اسجدي) فأن الأمر كان موجها لمريم عليها السلام ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ وهو موضع لم يرد فيه سجود تلاوة لأنه أمر خاص بمريم عليها السلام بعد ما ولدت سيدنا المسيح عليه السلام وهي سجدة شكر وعبادة ومن غير المعقول أن يتم تعميم سجودها على البشرية

كلها من جهة، ومن غير الممكن من جهة أخرى تعميم الوضع الذي مرت به مريم عليها السلام ليصبح سجدة تلاوة عامة.

وأما صيغة الأمر لمجموع المخاطَبين (اسجدوا) فقد وردت فيها سجدة تلاوة في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ ﴾ ، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿ فَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعۡبُدُواْ ﴿٦٢﴾ ﴾.

٥- صيغة اسم الفاعل المفرد (ساجد) لم يرد فيها سجدة تلاوة في قوله تعالى: ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴾.

صيغة اسم الفاعل بجمع المذكر السالم (ساجدون) وردت في إحدى عشرة آية، كانت خمس آيات منها تتحدث عن سجود الملائكة لآدم عليه السلام، واثنتان عن السحرة الذين سجدوا بعد هزيمتهم دلالة على الخضوع التام لموسى عليه السلام وربه بدليل ارتباطها في الموضعين بقوله تعالى: ﴿ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا ﴿٤٦﴾ ﴾ ، أي: أنهم سلموا وخضعوا خضوعا تاما بعد أن أعجزهم موسى عليه السلام، ولهذا لم يرد فيها سجدة تلاوة، وآية واحدة تحدثت عن سجود اخوة يوسف عليه السلام له.

وبقيت بذلك ثلاثة مواضع فيها سجدة لله تعالى واحدة منها فيها سجود تلاوة بقوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾، وثمة موضعان ليس فيهما سجدة بقوله تعالى: ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّآئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ وهو موضع لم يتم فيه تخصيص السجود بالذكر بل ورد مع صفات المؤمنين الأخرى ولذا لم يرد فيه سجود تلاوة.

وأما قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ ﴾، فلم ترد فيه سجدة تلاوة، وهو موضع مخصوص بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم من جهة، كما أنه حديث يتناول عموم السجود الذي كان يقوم به النبي صلى الله عليه وسلم وهو يشمل سجود الصلاة وسجود التلاوة وغيرهما.

وأما صيغة اسم الفاعل الجمع على التكسير (سُجّدْ) فقد وردت في إحدى عشرة آية، ثلاثة منها تحدثت عن دخول الباب سجدا وهو باب القرية التي قاد تعالى بني إسرائيل إليها كي ينعمهم وطلب منهم دخولها ساجدين شكرا وخضوعا وهو موقف خاص لا يمكن تعميمه على كل الناس لأنه انتهى بدخولهم القرية ولأنهم لم يثبتوا بعد ذلك على دين الله تعالى، وهناك موضع واحد عن سجود أخوة يوسف عليه السلام له، وموضع آخر عن سجود السحرة لرب العالمين بعد المعجزة.

وهكذا تبقى لدينا ستة مواضع، ثلاثة منها فيها سجدة تلاوة في قوله تعالى: ﴿إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾﴾ و ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾﴾ و ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا﴾ ، وثلاثة مواضع أخرى لم يكن فيها سجدة تلاوة في قوله تعالى: ﴿يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ والثانية قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ ، والأخيرة في قوله تعالى: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾ ، ولننتبه إلى لفظ الخرور الذي ارتبط بالآيات التي وردت فيها سجدة تلاوة، وقد ارتبط السجود بالخرور بعد القيام، وهو السجود المراد؛ لأنه سجود فور سماع الآيات أو التذكير بها، وأما المواضع الثلاثة التي ليس فيها سجود تلاوة فلم تكن إلا مواضع تتحدث عن السجود بشكل عام سواء أكان بمعناه المجازي الذي يخرج إلى الصلاة أم بمعناه الحقيقي الذي يتحدث أيضًا عن عموم السجود في معرض المدح لمن يكثر السجود لا لمن يُذكَر بآيات الله تعالى فيخر ساجدا..

٦- وردت سجدة واحدة وليس فيها لفظ السجود أساسا وهي سجدة سورة (ص) ولكن ورد فيها قوله تعالى: ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾﴾.

رابعًا: أهمية سجدات التلاوة.

لم تكن السجدات إذًا في القرآن الكريم اعتباطية ومن الممكن أن نجد لها مبررا لا يعتمد على جانب الرواية فقط في تحديدها، وقد مر معنا أن علماء علوم القرآن استنتجوا قاعدة عامة تخص علمهم ولكنها مفيدة لنا في هذا البحث بشكل ما، وتقول قاعدتهم: (كل سورة فيها سجدة تلاوة فهي مكية)"[٧٠]"، فالله تعالى خاطب غير المؤمنين

في مكة وأمرهم بالسجود له جل وعلا وأن لا يسجدوا لغيره من الأصنام والمخلوقات، لأن هذه المخلوقات تسجد بدورها لله تعالى بقوله عز من قائل: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ "[٧١]"، وبذا يصبح السجود لغيره تعالى ضربا من الغباء.

وبما أن القرآن الكريم في بداية نزوله بمكة كان يقف ضد السجود الجاهلي للمخلوقات فقد ورد في السور المكية هذا العدد من سجدات التلاوة، وربما كان الحديث الذي رواه أبو داود في سننه وعبد الرزاق في مصنفه"[٧٢]" مطابقين لهذا المعنى، إذ نقلا أنه صلى الله عليه وسلم سجد في مكة بسجدات التلاوة ولم يسجد بها في المدينة، وبعيدًا عن اتفاقنا من عدمه مع هاتين الروايتين إلا أنهما يشيران إلى أن سجدات التلاوة نزلت فعلًا في مكة وأنها كانت من أجل إعادة أهل مكة إلى الطريق السوي وجعل سجودهم لله تعالى وحده بلا شريك، وحينما انتقل المسلمون إلى المدينة لم يعد ثمة داع إلى التركيز على دعوة المسلمين الذين يعبدون الله تعالى وحده ويسجدون له في كل صلاة وبغير صلاة إلى السجود لله تعالى، وبدأ منذئذٍ وضع أسس الشريعة كاملة عبادات ومعاملات وأخلاقًا وعقيدة.

وأول سجدة نزلت من القرآن الكريم كانت في سورة العلق كما يبدو عليه ترتيب النزول، في قوله تعالى: (واسجد واقترب) ويبدو أن الصلاة التي كان يؤديها نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم كانت غريبة على المشركين وأن هؤلاء المشركين كانوا ينظرون إلى سجوده صلى الله عليه وسلم بوصفه أمرًا غير مقبول بالمرة ولذلك كانوا يحاولون إلحاق الأذى به صلى الله عليه وسلم عند سجوده، وكانوا يفعلون معه الأفاعيل الشنيعة حتى دعا صلى الله عليه وسلم على قريش وصناديدهم برواية البخاري عن ابن مسعود (رضي الله عنه): (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُصَلِّي عِنْدَ البَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ، إِذْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَيُّكُمْ يَجِيءُ بِسَلَى جَزُورِ بَنِي فُلاَنٍ، فَيَضَعُهُ عَلَى ظَهْرِ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ؟ فَانْبَعَثَ أَشْقَى القَوْمِ فَجَاءَ بِهِ، فَنَظَرَ حَتَّى سَجَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَضَعَهُ عَلَى ظَهْرِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ لاَ أُغْنِي شَيْئًا، لَوْ كَانَ لِي مَنَعَةٌ، قَالَ: فَجَعَلُوا يَضْحَكُونَ وَيُحِيلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاجِدٌ لاَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ، حَتَّى جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ، فَطَرَحَتْ عَنْ ظَهْرِهِ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ». ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ إِذْ دَعَا عَلَيْهِمْ، قَالَ: وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الدَّعْوَةَ فِي ذَلِكَ البَلَدِ مُسْتَجَابَةٌ، ثُمَّ سَمَّى: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ، وَعَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ،

وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ» - وَعَدَّ السَّابِعَ فَلَمْ يَحْفَظْ -، قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ عَدَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَرْعَى، فِي القَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ)"[٧٣]".

وإذا كان المشركون يرون في السجود تقليلا لقيمتهم وإذلالًا لأنفسهم بسبب وضع وجوههم في الأرض، فإن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فسر السجود بأنه شامل للوجه والأطراف وبه يصبح الجسم كله ساجدًا فقد روي عنه صلى الله عليه وسلم قوله في صحيح البخاري: (إِذَا سَجَدَ الْعَبْدُ سَجَدَ مَعَهُ سَبْعَةُ أَطْرَافٍ: وَجْهُهُ، وَكَفَّاهُ، وَرُكْبَتَاهُ، وَقَدَمَاهُ)"[٧٤]" وبذا يكون التسليم والانقياد لله تعالى كاملا بتسليم قياد الجسد كله، ولهذا تناقل المسلمون عن نبيهم صلى الله عليه وسلم أهمية السجود البالغة فقد ورد في سنن النسائي الحديث: (حَدَّثَنِي مَعْدَانُ بْنُ طَلْحَةَ الْيَعْمُرِيُّ، قَالَ: لَقِيتُ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَنْفَعُنِي، أَوْ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، فَسَكَتَ عَنِّي مَلِيًّا، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيَّ فَقَالَ: عَلَيْكَ بِالسُّجُودِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْجُدُ للهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً)"[٧٥]" وهو ما يشير إلى مكانته الكبيرة وأهميته في الإسلام، فإذا كان الركوع يُظهر الاحترام والتقدير والتواضع فأن السجود يظهر منتهى القرب والانكسار والخشوع، وربما كان نفلًا هنا التذكير بقوله صلى الله عليه وسلم: (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء)"[٧٦]"، وفي مصنف ابن أبي شيبة عن عبد الله (رضي الله عنه) قال: (مَا حَالٌ أَحَبُّ إِلَى اللهِ يَرَى الْعَبْدَ عَلَيْهَا مِنْهُ وَهُوَ سَاجِدٌ)"[٧٧]" وهي أخبار تتواتر على أهمية السجود ومكانته في الدين الإسلامي.

ومن هنا ربما سنَّ النبي محمد صلى الله عليه وسلم في الكثير من الأمور الاتيان بسجدة أو سجدتين وخصوصا إذا كان الموقف موقف توبة أو غفران أو عودة إلى الله تعالى ففي السهو في الصلاة سن صلى الله عليه وسلم سجدتين"[٧٨]" وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: عَرَّسْنَا مَعَ نَبِيِّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ نَسْتَيْقِظْ حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لِيَأْخُذْ كُلُّ رَجُلٍ بِرَأْسِ رَاحِلَتِهِ، فَإِنَّ هَذَا مَنْزِلٌ حَضَرَنَا فِيهِ الشَّيْطَانُ، قَالَ: فَفَعَلْنَا، ثُمَّ دَعَا بِالْمَاءِ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، وَقَالَ يَعْقُوبُ: ثُمَّ صَلَّى سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَصَلَّى الْغَدَاةَ)"[٧٩]" وكأن هاتين السجدتين للتخلص من الشيطان وحضوره وإعادة التسليم لله تعالى، ومن اللافت للنظر هنا أنه صلى الله عليه وسلم ميز بين السجدتين وبين الصلاة وأتى بالسجدتين قبل الصلاة لكي يشعرنا بالعودة إلى

الصراط الإلهي قبل الولوج في العبادة، وكذا كان يفعل صلى الله عليه وسلم قبل صلاة الصبح لأنه يكون حينئذ قد أفاق من نومه توا فيتوضأ ويأتي بالسجدتين ثم يصلي إذ يروي النسائي عن حفصة (رضي الله عنها) أَنَّهَا (أَخْبَرَتْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا نُودِيَ لِصَلَاةِ الصُّبْحِ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ قَبْلَ صَلَاةِ الصُّبْحِ)"[٨٠]" وكان صلى الله عليه وسلم يبدأ حجه وعمرته بالسعي والمشي ثم السجود ثم يطوف بين الصفا والمروة"[٨١]"، وكل ذلك يشير إلى أهمية السجود ومكانته من التشريع الإسلامي وتعلقه بالعودة إلى الله تعالى والخلاص من الشيطان ومن السهو ومن عموم العلاقة بالحياة الدنيا، سواء أكان ذلك السجود في صلاة أم في غيرها.

٥- المناسبة في سجود التلاوة.

يجب علينا الآن أن ننتبه إلى المواضع التي وردت فيها سجدات تلاوة ونقرر مقدما أنها إنما استندت إلى سياق دلالي محيط، عزز إمكانية دعوته تعالى لنا إلى السجود، ويمكننا من خلال هذا السياق أن نقطع أن المواضع الأخرى التي ورد فيها لفظ السجود ولم ترد فيها سجدات تلاوة تخلو من هذا السياق المحيط أو أن سياقها المحيط مغاير لسياق آيات سجود التلاوة، وسوف نقف عند هذه السياقات واحدا تلو الآخر كي نتبين صحة فرضية هذه الدعوى التي قدمناها.

لقد مر بنا أن معنى السجود اللغوي يدور حول الخضوع والخوف والتذلل والانكسار، وهذا المعنى حاضر في جميع سجدات التلاوة لأن السجود بمعناه الرمزي إعلان للعبودية التي تقابل الألوهية، خلا ثلاث سجدات لم يكن فيها هذا المعنى بارزا وذلك في سجدات الحج (الثانية) والفرقان والنمل وسوف نعرض لذلك بالتفصيل.

١- سجدة الأعراف: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾ ﴾"٨٢"، وقد ورد قبل هذه الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿ إِنَّ وَلِيِّۦَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ ﴾[٨٣]، وهنا يريد تعالى تنبيهنا على أن كل ما ندعوه من دونه لا يستطيعون تقديم نصر لنا وأنه تعالى هو الولي النصير، ووصف تعالى المشركين الذين يتخذون لأنفسهم أولياء وناصرين من

دون الله تعالى بأنهم يفتقدون إلى البصيرة العقلية وأنهم ينظرون بأعينهم ولكنهم لا يملكون التفكير السليم لأنهم لا يريدون ذلك ويتجنبونه بالتجائهم إلى ولي ونصير آخر لا يستطيع فعل شيء لهم ولكنهم متمسكون استكبارًا وعادة، وإنما فقدوا التفكير والبصيرة؛ لأنهم لم يتذكروا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ والمراد بالتذكر هنا تذكر الآلاء والآيات التي قدمها الله تعالى للإنسان كي يدرك خالقه ويتخذه وحده تعالى وليًا وناصرًا، كما يمكن أن يكون المراد بالتذكر هنا تذكر العهد الأولي القديم الذي قطعه الإنسان على نفسه حينما سألهم: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ ﴾ وأجابوا بـ: (بلى)، ثم تأتي الآيات القرآنية المتعلقة بالسجود على هذا النسق: ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾ ﴾"[٨٤]، فلنلاحظ أولًا أن الآيات التي تعلقت بالسجدة عالجت موضوع المجادلة حول الإتيان بآية على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ومن ثم يقدم تعالى خطابه عن القرآن الكريم ويصفه بأنه بصائر أي أن الآيات التي يبحثون عنها إنما هي في القرآن الكريم وتلك البصائر تتعلق بالخلق والألوهية والربوبية ومن المفروض أن تكون كافية لإقناع المشركين ولكن العناد والاستكبار يمنعهم من الاستماع، وبناء على ذلك يدعونا تعالى إلى الاستماع إلى القرآن الكريم والعناية به عبر الانصات والفهم والتعقل، ومن المؤكد أن هناك فرقا بين السمع والاستماع فالاستماع مشتق من الفعل (استمع، افْتَعَلَ) وهي صيغة تحمل معنى الاجتهاد والمبالغة في الفعل، أي أن المطلوب ليس مطلق السمع بل تعمد السمع والذي يتركب عليه الفهم العقلي، ثم تتلوها دعوة منه تعالى إلى الذكر والتذكر الذي مر معنا آنفا، وهذا التذكر مشروط بالتضرع والتوسل من أجل الفوز برحمته ولطفه وعنايته والخوف منه تعالى، لأن معنى العبودية والألوهية يتحققان هنا، وأما الركن الثالث فهو أن يكون كل من التضرع والخوف دون الجهر بالقول فالمسألة ليست مسألة تقرير لساني صوتي خارجي وإنما

يجب أن يتحول إلى يقين قلبي داخلي بالرجاء، وهنا جاءت آية السجدة لتعرض لنا حال من عند الله تعالى بأنهم لا يستكبرون عن عبادته وتسبيحه والسجود له لأنهم تحققوا بالخوف والرجاء والتضرع.

وهذه الأركان الثلاثة متلازمة تلازما متدرجا فالعبودية إقرار أولي يجب وجوده لكي تنتج عنه العبادات والمعاملات وغيرها من أركان الشريعة، وهو يعني الاعتراف بأننا عبيد عنده تعالى وأنه هو الخالق لنا، وقد رتب تعالى على هذا الإقرار الأولي ركنا تاليا ناتجا عنه وهو التسبيح، لأن الإقرار بالعبودية يتطلب التنزيه عن الشريك، ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ﴾"٨٥"، وأما السجود فهو يأتي بالمرتبة الثالثة لأنه التطبيق العملي للعبودية والتنزيه، ولهذا جاء ترتيبها في القرآن الكريم بحسب الأولويات وبحسب الترتيب المنطقي للأمور المتعلقة بالإسلام.

وقد ذكر الطبري (رحمه الله تعالى) أن المقصود بمن عند ربك هنا هم الملائكة وأن صلاتهم سجودهم الدائم لله تعالى"٨٦" ومن الغريب أن يذهب البعض إلى القول أن الله تعالى عرض حال الملائكة كي ينبه الناس أن الملائكة وهم أشرف مكانا وأقرب مكانة يسجدون لله وأن البشر على ضعفهم وحاجتهم أولى بالسجود"٨٧" يقول الماوردي أن بني البشر أولى بالإقرار بالعبودية والتسبيح والسجود لله تعالى من الملائكة"٨٨"، أقول ذلك عجيب في الوقت الذي نعرف فيه كلنا أمر الله تعالى للملائكة بأن يسجدوا لآدم، فكيف يكونون أشرف منزلة ومكانة؟، وأرى أن المقصود هنا أن منتهى العبودية والاعتراف بالربوبية والإلوهية يقتضي التنزيه ومن ثم السجود لله تعالى، وفي هذه الآية يريد تعالى أن ينبه خلقه على أن من يصل درجة منتهى العبودية والتسبيح سيسجد ولا بد كما هو عليه حال الملائكة، وذلك إذا فهمنا أن العندية هنا لا تعني عندية المكان بل عندية المكانة، فكل ساجد مقر لله تعالى بألوهيته وبعبوديته له تعالى إنما هو عند الله تعالى، بحفظه وحمايته ورعايته، وفي هذا الصدد نقل عن القشيري (رحمه الله تعالى) عندما سئل أيسجد القلب: أجاب يسجد سجدة لا يرفع رأسه منها أبدا"٨٩"، وهذا هو حال الملائكة، إنهم دائمو التسبيح والسجود، ومن جهة أخرى أحب أن أنبه إلى أن الكثير من المفسرين وانطلاقًا من الفهم القائم على الحس والعقل يتفقون على أن المقصود بعبارة (عند ربك) الملائكة، ونرى أن هذا المعنى غير ملزم، لأن كل من أقر بالعبودية والتنزيه وسجد لله تعالى تضرعا وخيفة وعبودية سيكون ولا بد عند ربه وفي حماه أيضًا، ألم يقل صلى الله

عليه وسلم: (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد)؟! وهذا القرب يعني العندية نفسها التي تحدث عنها القرآن الكريم، فكل من يوالي الله ويتخذه نصيرا ويكون عبدا له بحق فإنه سيكون عنده بلا شك وبذا يكون القرب قرب ولاية لا قرب مسافات.

٢- سجدة الرعد: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾، يبدأ سياق الآيات هنا بقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ﴾، وقد تكرر هذا الموضوع في سجدة الأعراف قبل قليل إذ يطلب المشركون آية ومعجزة تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم مرسل من الله تعالى، ولكنه تعالى يعلم أن من يريد التصديق بنبوة النبي سيصدق بلا آية وأن من لا يريد التصديق لن يصدق حتى لو جاءه تعالى بكل الآيات، ثم انتقل جل وعلا إلى آياته المبثوثة في الكون: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾، فمن أراد أن ينتبه إلى هذه الآيات ويقر بالعبودية خوفا وطمعا فله جزاؤه الأمثل وأما من لم يرد فالعقاب الشديد جزاؤه الأمثل أيضًا لأنه لم يكن يريد أن يتذكر ويتفكر في آياته تعالى يقوده في ذلك الاستكبار والعتو عن الخضوع، ثم ينتقل تعالى إلى الركن الآخر المتعلق بالولاية والنصرة والتأييد فيقول عز من قائل: ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ ﴾[٩٠]، فالشركاء الذين يدعون أنهم شركاء لله تعالى في خلقه أو ألوهيته إنما هي أوهام يتوهمها الإنسان لا تصمد أمام حقيقة كونه جل وعلا واحدًا أحدًا، وهو المستحق للعبادة والتنزيه، ولهذا جاءت السجدة هنا في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾.

ويريد البعض هنا أن يفهم معنى السجود هنا بأنه الاستسلام والانقياد والخضوع كما فعل ابن قتيبة"[٩١]"، وذهب المفسرون في تفسير سجود كل شيء وظلالها مذاهب شتى، إذ يرى الطبري أن المؤمن يسجد طوعا والكافر يسجد كرها، ويؤكد تفسيره قول ابن زيد أن ظلال الأشياء كلها تسجد لله تعالى، ونقل عن ربيع بن خثيم قوله إذا تلا هذه الآية: (بلى يا رباه)"[٩٢]" لكي يقر بأنه يسجد طوعًا، وهنا يمكننا القول: إن المؤمن يسجد هو وظله لأن

القرآن الكريم قال يسجدون هم وظلالهم، وأما الكافر فهو حين سجوده لغير الله تعالى فإنه يسجد ظله لله تعالى"[٩٣]"، وهذا ما نقل أيضًا عن قتادة إذ قال: أما المؤمن فيسجد طائعا وأما الكافر فيسجد كارها يسجد ظله، وعن الضحاك قال: إذا طلعت الشمس يسجد ظل كل شيء نحو المغرب فإذا زالت الشمس سجد ظل كل شيء نحو المشرق حتى تغيب"[٩٤]".

ومن المفيد هنا التعريج على رؤية القشيري لسجود غير المؤمنين إذ قال: (أهل العرفان يسجدون له سجود عبادة وأرباب الجحود كل جزء منهم يسجد له سجود شهادة)"[٩٥]" مختصرًا بذلك الخلاف بين المفسرين حول شكل السجود ودلالته من المؤمنين وغير المؤمنين، وأما سجود الدواب والجمادات وباقي المخلوقات فقد تاهت نظرات بعض المفسرين حينما حاولوا تفسير السجود بأنه الدلالة على الخالق، متناسين قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾[٩٦]، وهي الآية التي يمكننا ببساطة من خلالها أن نأخذ الكثير من هذه الأمور على محمل الحقيقة بلا عناء ما دام الأمر متعلقا بفهمنا لا بحقيقة ما يجري.

وقد أضاف الآلوسي تعقيبا على هذا الكلام نقلَه عن الحواشي الشهابية فقال: (ينبغي أن يرجع الضمير لمن في الأرض لأن من في السماء لا ظل له إلا أن يحمل على التغليب أو التجوز، ومعنى انقياد الظلال له تعالى أنها تابعة لتصرفه سبحانه ومشيئته في الامتداد والتقلص والفيء والزوال)"[٩٧]" وهو قول فيه ما فيه من إثارة للتفكير، وهو ما يدعونا إلى القول إن المقصود بالظلال هنا لا الظلال الحقيقية، وإنما حقيقة الأجرام، فقد قلنا: إن الكافر يسجد لغير الله تعالى وهو إنما يسجد لمعنى الألوهية الكامنة في الأصنام ومعنى الألوهية هذا مستوحى من ألوهية الله تعالى لأنه لا إله إلا هو الحق، ولذلك عقب تعالى بقوله: (طوعًا وكرهًا) كما أنه أطلق تعالى هذا المعنى في الآية نفسها، فقال عز من قائل: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ فعمَّ حتى الجمادات غير العاقلة، ويضيف ابن عاشور مزيد إيضاح أو تصورًا للمعنى نفسه من جهة رمزية فيقول: (فَإِذَا كَانَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَأْبَى السُّجُودَ للهِ أَوْ يَتْرُكُهُ اشْتِغَالًا عَنْهُ بِالسُّجُودِ لِلْأَصْنَامِ فَقَدْ جَعَلَ اللهُ مِثَالَهُ شَاهِدًا عَلَى اسْتِحْقَاقِ اللهِ السُّجُودَ إِلَيْهِ شَهَادَةً رَمْزِيَّةً)"[٩٨]" وهذا ما يؤكد معاني الخضوع والتذلل والافتقار وغيرها، كما أن الآية التي تلت آية السجود تعود لتؤكد المعنى نفسه من الافتقار إلى ولي غير الله تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ ﴾ "[٩٩]". وقد ختمها جل وعلا بالتوحيد له والقهر ليصوغ المعنى الكامن في السجود صياغة نهائية غير قابلة للمزيد، فألوهيته جل وعلا ألوهية واحدية لا تقبل الشركاء ومن لم يعتقد بذلك فالقهار حسيبه، ولهذا أكد ابن عاشور على أن مِنْ حِكْمَةِ السُّجُودِ عِنْدَ قِرَاءَتِهَا أَنْ يَضَعَ الْمُسْلِمُ نَفْسَهُ فِي عِدَادِ مَا يَسْجُدُ للهِ طَوْعًا"[١٠٠]" وهو المعنى الذي يجب أنْ يضعه الساجد فيها نصب عينيه؛ لأنه يمثل المناسبة في الدعوة إلى السجدة.

٣- سجدة سورة النحل: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾، ويبدأ سياق الخوف والترهيب فيها من قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ ۚ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ ﴾، وهذا السياق يرتبط بالسجدة وذلك بإثبات أن الله تعالى قد أرسل رجالا إلى الأمم يدعونهم إلى سبيل العبودية الكاملة الحقة، وأنزل معهم جل وعلا كتبا تدعوهم إلى الإسلام له تعالى، ولكن الكافرين كانوا يتخذون الجدل والاستكبار سبيلًا لهم، ولهذا استعمل تعالى صيغة الاستفهام التعجبي: أي كيف يأمنون عقاب الله تعالى بعد أن رفضوا دعوته لهم إلى الإسلام وهم قد علموا ما حصل للأمم السابقة بأعينهم وسمعوا بآذانهم من عقاب شديد؟! ومن ثم ينتقل الكلام إلى الآيات التي يراها كل إنسان يصدق بها من يريد ويكفرها من يريد: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ فكل الموجودات تسجد لله تعالى فما بال الإنسان يستكبر عن هذا السجود الذي يعلن فيه انتماءه بعبوديته، وهنا جاءت آية السجدة بقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾، فالخوف والخضوع هو السياق المتحكم بالآيات التي سبقت آية السجدة ولحقتها، وقد أوضح السمرقندي أن المقصود بالسجود هنا التعظيم والطاعة والاستسلام ونقل حديثًا عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم يقول فيه: (إن لله تَعَالَى مَلائِكَةً فِي السَّمَاءِ السّابعة سجودًا مُذْ خَلَقَهُمُ الله

تَعَالَى إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، تُرْعَدُ فَرَائِصُهُمْ مِنْ مَخَافَةِ الله تَعَالَى، فَإِذا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ رَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ فَقَالُوا: ما عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ)"[١٠١]" وقد استعمل تعالى التشبيه أو التمثيل بالأدنى، أي: أنه تعالى صور لنا حال الجمادات بأنها تسجد لله تعالى دوما ومن الحري بالإنسان أن يكون ساجدًا معها أيضًا بلا استكبار ولا إشراك، ويشير بعضهم إلى أن ثمة سجودًا مخصوصًا للدواب وما خلق الله تعالى من مخلوقات لا نعلم طبيعته على وجه اليقين ولكنه يبقى عندها وعند الله تعالى سجودًا حقيقيًا لأنه حقيقي بالنسبة إليها كما كان التسبيح أيضًا حقيقيًا ولكننا لا نفقهه: ﴿ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ "[١٠٢]" وقد سمع النبي صلى الله عليه وسلم تسبيح الحصى وهو شكل من أشكال تسبيح المخلوقات"[١٠٣]" كما سمع نبي الله سليمان عليه السلام حوار النمل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ ﴾ "[١٠٤]" وإنما يكمن الضعف والخلل فينا، نحن الذين لا نرى ولا نسمع كل ما يجري حولنا، وهذا دليل على واجب التسليم من قبلنا لله تعالى إذ يذكر ابن عاشور أن حكمة السجدة هنا تكمن في: (إِظْهَارُ الْمُؤْمِنِ أَنَّهُ مِنَ الْفَرِيقِ الْمَمْدُوحِ بِأَنَّهُ مُشَابِهٌ لِلْمَلَائِكَةِ فِي السُّجُودِ لله تَعَالَى)"[١٠٥]"، ذلك السجود الدائم القائم على التسليم التام لله تعالى.

٤- سجدة سورة الإسراء عند قوله تعالى: ﴿ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ "[١٠٦]"، وقد نقل الطبري وجهين متقاربين لتأويل معنى الأذقان الأول أن المراد بها الوجوه نقلا عن ابن عباس رضي الله عنهما، والثاني أن المراد بها اللحى نقلا عن الحسن رضي الله عنه، ويميل الطبري مع رأي الحسن رضي الله عنه لأن الذقن في العربية هو مجمع اللحيين"[١٠٧]" وفي لسان العرب أن الذقن مجتمع اللحيين من أسفلهما، وفي المثل مثقل استعان بذقنه، وذاقنني فلان بمعنى لازّني وضايقني، والذقن الشيخ"[١٠٨]" ومن هذه المعاني نستطيع استنتاج فكرة حول رمزية الذقن في اللغة العربية، فالمثل العربي (مثقل استعان بذقنه)[١٠٩] يطلق على الجمل فهو يستعين بذقنه لينهض من الأرض، والذقن لا يمكن الاعتماد عليه بشكل كبير ولكنه يشير إلى مقدار الثقل في مقابل عدم كفاية الاعتماد، ولا يعني ذلك تحقيرًا للذقن بل يعني تقليلًا من شأنه في

الاعتماد عليه عند النهوض، وأما القول الوارد عن العرب في النوادر(ذاقنني فلان) فهو بالعكس يتحدث عن قيمة الذقن الرمزية ومكانته فهو رمز للشخصية والأنا بدليل وصفهم الشيخ بأنه ذقن.

وهنا يأتي قوله تعالى (يخرون للأذقان) بمعنى أن الذقن الذي يمتلك هذه المكانة الرمزية في التصور العربي والرجولي العام يتم انزاله إلى الحد الذي يصبح فيه في أوطأ نقطة على الأرض دليلًا على الخضوع التام والانقياد والعبودية، وقد ذكر الزمخشري في تعليل ذكر الأذقان: (وإنما ذكر الذقن وهو مجتمع اللحيين، لأنّ الساجد أول ما يلقى به الأرض من وجهه الذقن)"[١١٠]" ولست أتفق معه في هذا الكلام لأن التعبير قائم على التضمين أو الحذف، فمن الممكن لنا تأويل لفظ يخرون بأنه متضمن لمعنى ينزلون أو يصلون في نزولهم، ومن الممكن تأويل الحذف بأنه يخرون وصولًا للأذقان، وكلاهما على جهة تعظيم الذقن ووصفه بأنه آخر جزء يمكن أن ينال الأرض بالسجود فيصبح الساجد وكأنه لاطئ بالأرض بوجهه كله تعظيمًا وخضوعًا لله تعالى.

وأما حرف اللام التي دخلت على الأذقان فيرى فيها الزمخشري أن معناه جعل وجهه وذقنه للخرور واختصه به لأن اللام للاختصاص"[١١١]" ونقل صاحب اللباب أن هناك رأيين آخرين في اللام أولهما بمعنى على فيكون المعنى على الأذقان والثالث أنها على بابها بمعنى مذلون للأذقان"[١١٢]" وذلك عند حمل (يخرون) على التضمين، ويؤيد ذلك ما ذهب إليه أبو الفداء بقوله إن: (الذقن اقرب شيء الى الأرض من الأنف والجبهة حال السجدة إذ الأقرب الى الأرض بالنسبة الى حال الخرور الركبة ثم اليدان ثم الرأس وأقرب أجزاء الرأس الذقن)"[١١٣]" مما يقودنا إلى القول أن معنى اللام هنا (إلى) أي أنهم في سجودهم يصل حالهم إلى وضع أذقانهم على الأرض فيصبحون وكأنهم لاطئين بها من شدة التعظيم والتماهي مع السجود، وقد نقل هذا المعنى الآلوسي عن صاحب الفرائد وقال عنه بأنه حسن جدا"[١١٤]".

وأما الرازي فقد نقل وجهين محتملين للدلالة هنا وكلاهما مقبول ومتعاضد أولهما أَنَّ الْأَذْقَانَ كِنَايَةٌ عَنِ اللِّحَى وَالْإِنْسَانُ إِذَا بَالَغَ عِنْدَ السُّجُودِ فِي الْخُضُوعِ وَالْخُشُوعِ رُبَّمَا مَسَحَ لِحْيَتَهُ عَلَى التُّرَابِ فَإِنَّ اللِّحْيَةَ يُبَالَغُ فِي تَنْظِيفِهَا فَإِذَا عَفَّرَهَا الْإِنْسَانُ بِالتُّرَابِ فَقَدْ أَتَى بِغَايَةِ التَّعْظِيمِ) وثانيهما: (أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا اسْتَوْلَى عَلَيْهِ خَوْفُ اللَّهِ تَعَالَى فَرُبَّمَا سَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ فِي مَعْرِضِ السُّجُودِ كَالْمُغْشِيِّ عَلَيْهِ وَمَتَى كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ كَانَ خُرُورُهُ عَلَى الذَّقَنِ فِي مَوْضِعِ

السُّجُودِ فَقَوْلُهُ: يَخِرُّونَ لِلْأَذْقانِ كِنَايَةٌ عَنْ غَايَةِ وَلَهِهِ وَخَوْفِهِ وَخَشْيَتِهِ)"[١١٥]"وهما معنيان يتقاربان ويتفقان مع غاية التعظيم والخوف والخشية والرجاء من الله تعالى، وهنا يطيب لي أن أنقل كلام الغزالي (رحمه الله) إذ يقول: (عن ابن عبَّاس أنه قال: إذا قرأتم سَجْدَةَ (سُبْحَانَ) فلا تعجلوا بالسُّجُود حتى تَبْكُوا، فإن لم تَبْكِ عينُ أحدِكُمْ، فَلْيبكِ قلبه، فإن لم يحضرْهُ حُزْن وبكاءٌ كما يحضر أرباب القلوب الصافيَةِ فليَبْكِ على فَقْدِ الحُزْن والبكاء، فإن ذلك من أعظم المصائبِ)"[١١٦]"

وإذا عدنا إلى سياق السجدة فسنجد في الآيات المحيطة بها تعبيرًا من الله تعالى عن موضوع إرسال النبيين من الرجال وإنزال الكتب السماوية معهم لكي يؤمن الناس ويسلموا لربهم ولكنهم يواجهون هذه الهبة العظيمة بالجدل والاستكبار، فينتقل الخطاب الإلهي إلى التعبير عن عدم الاكتراث بمن لا يريد الايمان لأنه تعالى يسجد له من يؤمن به وهو تعالى يعرض لنا هذين الحالين على المقابلة بينهما لكي يبين لنا عدم اهتمامه بمن لا يؤمن وتقريبه لمن يؤمن، ومن ثم ربط تعالى الخرور إلى الأذقان بالبكاء والخشية من الله تعالى بقصد التقرب إليه وتحقيق العبودية الحقة المطلوبة منا، وأما الحكمة من هذه السجدة فقد قال ابن عاشور أن المستمع لها يضع في ذهنه الـ: (اقْتِدَاءً بِأُولَئِكَ السَّاجِدِينَ بِحَيْثُ لَا يَذْكُرُ الْمُسْلِمُ سُجُودَ أَهْلِ الْكِتَابِ عِنْدَ سَمَاعِ الْقُرْآنِ إِلَّا وَهُوَ يرى نَفسه أَجْدَرَ بِالسُّجُودِ عِنْدَ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ)"[١١٧]"

٥- سجدة سورة مريم: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ ﴾ "[١١٨]"، وقد افتتح تعالى هذه السورة بقصة زكريا عليه السلام ثم طرفا من قصة يحيى عليه السلام وقصة مريم عليها السلام ثم طرفا من قصة عيسى عليه السلام ثم قصة إبراهيم عليه السلام ثم قصة موسى عليه السلام، وقد عرض جل وعلا قصصهم حتى وصل الخطاب إلى آية السجدة، ومن الجدير بالذكر هنا أولا أن السجدة ارتبطت هنا مباشرة بالخرور وهو السقوط من الأعلى نحو الأسفل، وثانيا فإن هذا السجود يأتي فور سماع آيات الرحمن جل وعلا، وقد ورد هذا السجود بمقابلة الخلف الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات، وهذا موجب

للعقاب الذي يستدعي السجود والبكاء خشية من الله تعالى وعقابه، سائلينه جل وعلا أن لا نكون من هذا الخلف.

ثم يستعرض تعالى ثواب أهل الجنة من الساجدين، وينتقل إلى أهل النار من المستكبرين ويبين جدالهم في البعث ويجادلهم جل وعلا بالحجة الداحضة الكامنة في السؤال حول الخلق الأول، ثم يعرج الخطاب الإلهي على ما سيجري للكافرين عند الحشر: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾"[١١٩]" وهو تهديد وتخويف لكل من أبى السجود لله تعالى وهو ما يستدعي هنا سجدة حقيقية مع البكاء.

٦- سجدة الحج الأولى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۗ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ ﴾"[١٢٠]"، وقد وردت آية السجدة هذه بعد تصوير الجدل الإنساني الذي كان يجادل به أصحاب الديانات المختلفة مع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ويمكننا أن نلحظ التهديد والوعيد الإلهي ابتداء من الآية الأولى في الحج بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ ﴾ ، ومن ثم يبدأ تعالى بوصف يوم القيامة وما فيه من أهوال، لتبدأ الآية الثالثة بالحديث عن المجادلات الإنسانية بقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ ﴾"[١٢١]"، كما يستعرض تعالى أشكالا منوعة للجدل وذلك مثل الجدل حول البعث من القبور والجدل في الله بغير علم ومن ثم انتقل الخطاب إلى التهديد والوعيد لمن يعبد الله على حرف وكيف يدعون أنصارهم ولن يستطيع أي نصير أن ينصر أحدا من الله تعالى، وبعد عرض هذه الأشكال من الجدل والوعيد تبدأ الآيات بتناول الإيمان بأن الآيات القرآنية أنزلها الله تعالى لإبعاد التهمة عن نبيه صلى الله عليه وسلم، وتحديدا بعد قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾"١٢٢" والتخويف بيوم الفصل هذا وبالحكم الإلهي الذي سيقع فيه يستدعي السجود له تعالى خضوعًا وإيمانًا وتسليمًا.

٧- سجدة سورة الفرقان: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾﴾"١٢٣"، وقد احتوت سورة الفرقان على السياق نفسه الذي تكرر في السجدات السابقة، فسياقها المحيط يتناول إرسال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾﴾ ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾ "١٢٤"، فضلًا عن وجود موضوع الخلق والقدرة الإلهيين في مواضع سابقة أخرى من السورة نفسها، ويضيف ابن عاشور هنا فحوى السجود ومناسبته قائلا: (وَوَجْهُ السُّجُودِ هُنَا إِظْهَارُ مُخَالَفَةِ الْمُشْرِكِينَ إِذْ أَبَوا السُّجُود للرحمن، فَلَمَّا حُكِيَ إِبَاؤُهُمْ من السُّجُود للرحمن فِي مَعْرِضِ التَّعْجِيبِ مِنْ شَأْنِهِمْ عُزِّزَ ذَلِكَ بِالْعَمَلِ بِخِلَافِهِمْ فَسَجَدَ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُنَا مُخَالِفًا لَهُمْ مُخَالَفَةً بِالْفِعْلِ مُبَالَغَةً فِي مُخَالَفَتِهِ لَهُمْ بَعْدَ أَنْ أَبْطَلَ كُفْرَهُمْ)"١٢٥"، ونحن بدورنا ينبغي أن نستحضر هذا المعنى عند سجودنا في هذا الموضع.

٨- سجدة سورة السجدة: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾﴾"١٢٦"، وقد مر معنا الخرور خوفا وهيبة من تلاوة الآيات القرآنية وأما الآيات المقصودة هنا فهي الدلائل على الخلق الإلهي والتدبير والقدرة والإحاطة، ثم يتناول الخطاب القرآني المؤمنين بحق؛ الذين إذا تم سرد تلك الدلائل أو إشهادهم إياها يخرون فورا سجدا لله تعالى وعظمته وقدرته، وقد ارتبط السجود هنا بمعنى الاستكبار أيضًا فقد نفى تعالى عن المؤمنين أي شائبة من الاستكبار، ومغادرتهم للاستكبار إنما تعني تحقيقهم لمعنى العبودية الحقة، ومن الملاحظ أن سورة السجدة تبدأ بإثبات نزول القرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وسلم من رب العالمين، ومن ثم تنتقل الآيات إلى موضوع القدرة الإلهية في الخلق منذ ابتدائه، وكيفية إتمام الخلق الإنساني، ثم تنتقل إلى الحديث عن البعث بعد الموت لتصل إلى وصف المجرمين وما يدور يوم القيامة معهم: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ

جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾"[١٢٧]" وهذا التهديد بالعقاب أعاذنا الله وإياكم منه أجمعين- تطلب موقف السجدة لكي نعلن استسلامنا وخضوعنا التام والحقيقي أمام عزة الله تعالى وجبروته فنسلمه قياد أنفسنا تمامًا، رَجَاءَ أَنْ نكون مِنْ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَثْنَى اللهُ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ الله سجدوا"[١٢٨]".

٩- سجدة سورة فصلت: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ ﴾"[١٢٩]"، والسورة تفتح أيضًا بإثبات الإنزال الإلهي للقرآن العظيم من عنده ثم تنتقل إلى موضوع الخلق الإلهي والجدل الإنساني لطبيعة الخلق ومن ثم تتحدث عن من يجعل لله تعالى أندادا، ويقابل افتراءاتهم بوجود الأنداد بكيفية خلقه تعالى للعالم، ليبدأ بعد ذلك موقف التهديد والوعيد: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ ﴾"[١٣٠]" وحكى تعالى قصصهم وكيف استكبروا وكيف عذبهم، ثم تتحدث الآيات عن عذاب يوم القيامة الذي ينتظرهم وكيف ستشهد عليهم أبصارهم وأسماعهم وجلودهم، ثم صور تعالى ما سيجري بين المجرمين والأولياء الذين اتخذوهم من عتاب ورمي للتهم، وكيف أن هذا لن ينجيهم من العذاب، وبمقابل هؤلاء يبدأ التصوير القرآني لأصحاب الجنة الذين آمنوا بكل ما أتاهم الله تعالى به، ليعود إلى الحديث عن نزغ الشيطان، لتأتي آية السجدة هنا تماما وكأنها سجدة استعاذة من الشيطان الرجيم لكي لا يورط الشيطان المؤمنين فيكون مصيرهم مصير المشركين، وهكذا صارت للسجدة ضرورة هنا بناء على موقف التهديد الإلهي لمن استكبر وجادل وكفر وموقف الاستعاذة بالله تعالى من الشيطان ونزغاته، وأما من أصر على الاستكبار فإن الله تعالى غني عن إيمانه: ﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ ﴾"[١٣١]"، وهذا ما يتطلب منا اللجوء والهروب إليه تعالى كي نكون عنده مكانة بإدامة السجود والتسبيح له جل وعلا.

١٠- سجدة سورة النجم: ﴿ فَٱسْجُدُوا لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا ۩ ﴿٦٢﴾ ﴾"[١٣٢]"، وكلنا يعرف أن سورة النجم تفتح بقوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ ﴾"[١٣٣]"، وهو حديث إلهي جليل عن الاسراء والمعراج،

ولكن المشركين صاروا إلى المجادلة أيضًا، فاتجه الخطاب الإلهي نحو العلم الإلهي الواسع المحيط: ﴿ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾"١٣٤" وبمقابلة الجهل الإنساني للعلم الإلهي يصبح من الغرور والاستكبار التولي عن الله تعالى وإحاطته، والذهاب نحو ما لا ينفع ولا يضر، ثم يساق الخطاب مساق الاستغراب من عدم علم ما في صحف موسى وما جاء به إبراهيم عليه السلام: ﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ ﴾ "١٣٥"، وفي هذا الخطاب تذكير بما جاء به إبراهيم عليه السلام ووعيد من جهة أخرى بأن من لا يؤمن بما في الكتب السماوية المنزلة من الله تعالى سوف يلقى جزاءه الوافي، ثم يعود الخطاب القرآني إلى قصة الخلق مرة أخرى منذ النطفة حتى البلوغ ليعود مجددًا إلى إهلاك أقوام عاد وثمود ونوح عليهم السلام أجمعين، ليختم تعالى خطابه بقوله عز من قائل: ﴿ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾ ﴾"١٣٦"، إذ جاءت السجدة هنا بأمر صريح من جهة ومن جهة أخرى تم ختم السورة بها وكأنها خلاصة الخلاصات، بعد عرض القدرة والخلق والعذاب للكافرين وللأقوام السابقة، ولا يبقى بعد هذا الخطاب إلا التسليم المطلق لله جل وعلا والسجود له تعالى تسليمًا وخضوعًا وانكسارًا عسى أن يجنبنا تعالى عذابه ونقمته ويجعلنا من الساجدين.

١١- سجدة سورة الانشقاق: ﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ ﴾"١٣٧"، وهذه السورة المباركة تخلو من التأكيد على أن القرآن منزل من الله تعالى، ولكنها تقوم على الشاكلة نفسها من التهديد والوعيد للكافرين الذين يستكبرون عن السجود والعبودية، إذ يفتتح تعالى السورة بقوله عز وجل: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ

أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ ﴾، وهذا الخطاب يعرض العدل الإلهي الشامل والتخيير للإنسان في أفعاله وإيمانه فمن اختار اليُمن فله اليمن والبركة ومن اختار التراجع فله العذاب الأليم، ثم ينتقل الخطاب القرآني إلى القسم: ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ ﴾، وهنا يظهر لنا أننا لكي نخالف الكافرين المعاندين المستكبرين فيجب أن نعلن الولاء والخضوع والطاعة ونمتاز عمّن يشرك بالله ومن لا يريد العبودية، ممن يظن أن حريته تكمن في الكفر والضلال، وفي هذا الأسلوب القرآني حثٌ على السجود اعترافًا بالفضل والنعمة وإعلانًا للولاء والخضوع التام خشية منه تعالى ومحبة، وفي الوقت نفسه نمتاز عمن تعجب وتعالى من سلوكهم إذ لم يسجدوا حينما سمعوا القرآن الكريم، وأسلوب الاستفهام الإنكاري هذا إنما يضمر في داخله طبقة أخرى من المعنى ثالثة تدعونا نحن المؤمنين إلى السجود، وأما المغزى من السجود فنستطيع أن نستنتجه من علاقة السجدة بما قبلها فقوله تعالى: ﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ استنكار وتوبيخ على عدم سجود الكافرين بعد أن رأوا دلائل الله تعالى وقدرته في أحوال عديدة تتعلق بالحالات السابق ذكرها والتي دارت حول أَحْوَالِ مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ وأَهْوَالَ يَوْمِ لِقَاءِ اللهَّ جل وعلا، وحول كدح الإنسان وملاقاته لربه تعالى، وحول الركوب طبقا عن طبق وهو من أهوال العذاب الأخروي، وحول ما أقسم به تعالى بوصفها دلائل عظمة الله تعالى، وحول الاستمرار في الشرك بالله تعالى مع ظهور كافة الدلائل على عجيب صنعه ولطف قدرته"[١٣٨]"، فهذه الأحوال هي التي يستحضرها الساجد عند سجوده هنا.

١٢- سجدة سورة العلق: ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾ ﴾"[١٣٩]". ويجمع المفسرون على أن المقصود بالأمر بالسجود والاقتراب هنا هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، إلا أن ابن أبي حاتم"[١٤٠]" قال أن المقصود: لا تطعه يا محمد واسجد وأنت يا أبا جهل فاقترب، على التهديد والوعيد له؛ لأنه يروى أن أبا جهل كان ينهى النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم عن الصلاة وقال: (لئن رأيته يصلي لأطأن عنقه)"[١٤١]" ولكن هذا التفسير لا يستقيم لأن المقصود بالاقتراب هو النبي صلى الله عليه وسلم أيضًا ولا يمكن أن يكون الخطاب موزعا

بينهما هكذا، ودليلنا أن السجود كما مر معنا يقرب العبد كثيرا من الله تعالى، ويصير المقصود بذلك أن اسجد يا محمد أو أيها المؤمنون وستنالون القرب بسجودكم.

وقد جمع الرازي الآراء الثلاثة التي تدور حول معنى السجود هنا بقوله: (عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ التَّأْوِيلِ أَرَادَ بِهِ صَلِّ وَتَوَفَّرْ عَلَى عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى فِعْلًا وَإِبْلَاغًا، ... وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلِ الْمُرَادُ الْخُضُوعُ، وَقَالَ آخَرُونَ: بَلِ الْمُرَادُ نَفْسُ السُّجُودِ فِي الصَّلَاةِ)"١٤٢"، ولكن المعاني المجازية تنتفي إذا انتبهنا أن سورة العلق عمومًا سورة مكية بل هي أول سورة نزلت من القرآن الكريم على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وأن الصلاة لم تكن قد شُرعت بعد، وعلى الرغم من أن هناك من يقول أن هذه السورة لم تنزل دفعة واحدة وأن الجزء الأول وهو الآيات الخمس الأولى؛ نزلت في ابتداء الوحي وأن الجزء الثاني الذي يبدأ من قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ ﴾"١٤٣" حتى نهاية السورة نزل في وقت تال، إلا أن ذلك غير متفق عليه فالرواة كانوا يكتفون بجزء من السورة ليشيروا إليها ولم يكونوا يروون السورة كلها بدليل أن رواية مقدار نزول السورة ورد على ثلاثة أشكال أي أن الرواية توقفت عند ثلاث آيات مختلفة.

١- عند قوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ﴾ رواها البخاري عن **يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة** "١٤٤"، ورواها عن **ابن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة** رضي الله عنهم أجمعين"١٤٥" بلفظ مختلف.

٢- عند قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ چ رواها البخاري عن طريق **عبد الله بن محمد عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري** وبطريق اخر عن **الليث عن عقيل عن محمد عن عروة عن عائشة** رضي الله عنهم أجمعين"١٤٦" ولا ندري لم سقط اسم يحيى بن بكير في هذه الرواية، فهل التقى به البخاري مباشرة؟.

٣- عند قوله تعالى: ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ رواها البخاري عن **يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب** وبطريق اخر عن **عبد الله بن محمد عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري** وكلاهما عن **عروة عن عائشة** رضي الله عنهم "١٤٧"، ورواية البخاري عن **يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل** وروايته عن **عبد الله**

عن يونس بن يزيد، كلاهما عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنهم أجمعين"[١٤٨]" بلفظ مختلف، واسم يونس بن يزيد يرد في الرواية الأخيرة للمرة الأولى، كما أن اسم عبد الله منفردٌ لم نتمكن من التأكد حول كونه عبد الله بن محمد نفسه أم غيره."[١٤٩]".

كما أن علاقة الآيات المروية في الحديث النبوي الشريف بالآيات غير المروية من قوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ ... ﴾ حتى نهاية السورة تبقى شاهدا على أن المقصود بالآيات السورة كلها، ولم يذكرها الرواة إما اكتفاء بمعرفة الناس لها أو اختصارًا لأن الحديث فيه قصة طويلة نسبيًا.

إن الانتباه إلى الآيات يجعلنا نقطع بفرضية نزول السورة كاملة، فأولا من غير الممكن أن تنزل الآيات إلى قوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ﴾ لأن بعدها قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ ﴾ كما لا يمكن القول أنها نزلت إلى قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ ﴾ بحسب الرواية الثانية، لأن بعدها قوله تعالى: ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾، وكذلك القول بحسب الرواية الثالثة بأن الآيات توقفت عند قوله تعالى: ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾، وذلك أن الآية التي بعدها ابتدأت بقوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ ﴾ والأداة (كلا) جاءت للردع والزجر، ومن غير الممكن أن يكون الردع والزجر إلا لمعنى سابق، وبذا نرى أن استعمال كلا هنا يؤيد كون السورة نزلت دفعة واحدة في اليوم الأول لنزول القرآن الكريم.

وإذا كانت السورة قد نزلت دفعة واحدة فعلا فإن معنى الصلاة هنا المقصود به السجود فقط، لأنه لم ينزل تشريع بعد بالصلاة التي نعرفها اليوم، وإنما نزل التشريع بها بعد الإسراء والمعراج، وعلى العموم فإن هذا الجزء الثاني نزل ولم تُفرض الصلاة بعد، على الرغم من أن الماوردي ينقل عن جعفر ابن محمد أن هذه الصلاة كانت صلاة الظهر صلاها النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ومعه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهي الصلاة الأولى التي كانت جماعة في الإسلام"١٥٠" وإذا كان المقصود بأنها صلاة مكونة من أربع ركعات كما هو الحال عليه الآن فهذا غير ممكن بدليل رواية عائشة رضي الله عنها إذ تقول: (فَرَضَ اللهُ الصَّلاَةَ حِينَ فَرَضَهَا، رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ، فِي الحَضَرِ وَالسَّفَرِ، فَأُقِرَّتْ صَلاَةُ السَّفَرِ، وَزِيدَ فِي صَلاَةِ الحَضَرِ)"[١٥١]" بل أن الآلوسي يذهب إلى إنكار وجود صلاة

آنذاك أساسًا فيقول: (الصلاة فرضت ليلة الإسراء بلا خلاف، وادعى ابن حزم الإجماع على أنه كان قبل الهجرة بسنة، وجزم ابن فارس بأنه كان قبلها بسنة وثلاثة أشهر، وقال السدي بسنة وخمسة أشهر، وموت أبي طالب كان قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين لأنه كان قبل وفاة خديجة بثلاثة وقيل بخمسة أيام، وكانت وفاتها بعد البعثة بعشر سنين على الصحيح، فأبو طالب على هذا لم يدرك فرضية الصلاة، نعم حكى القاضي عياض عن الزهري ورجحه النووي والقرطبي أن الإسراء كان بعد البعث بخمس سنين لكن قيل عليه ما قيل)"١٥٢"، وقد نقل صاحب البداية والنهاية أن الإسراء كان قبل الهجرة بسنة من طرق عديدة في سندها ورجالها"١٥٣" ويبدو أن البيهقي يميل إلى القول بأنه كان قبل ستة عشر شهرا من الهجرة"١٥٤" وقد لخص الحلبي في سيرته الخلاف حول زمن الإسراء بأنه قبل الهجرة بسنة وبه جزم ابن حزم، وادعى فيه الإجماع، وقيل بسنتين؛ وقيل بثلاث سنين، وكل من الإسراء والمعراج كان بعد خروجه صلى الله عليه وسلم للطائف كما دل عليه السياق"١٥٥" وهو موضوع شائك ومعقد تتداخل فيه الكثير من الروايات والقصص التي لا نستطيع الوقوف على قرار فيها ولكن يبدو أن أغلب الآراء تتفق حول كون الإسراء كان قبل الهجرة بمدة وجيزة، ونعرف يقينا أن الصلاة على شكلها النهائي فرضت في ذلك الوقت وأن الصلاة التي كان يؤديها النبي صلى الله عليه وسلم كانت قائمة على السجود وقد يكون معها ركوع ثمة ولكنه لم يصل إلينا بالروايات ولكن ذلك ممكن لأن الله تعالى ذكر السجود والركوع كثيرًا في الديانات السابقة مما يدعونا إلى القول أنه صلى الله عليه وسلم كان يسجد ويركع بناء على ما يشعر به من حاجته الداخلية للسجود والركوع فضلا عن تأثير الديانات السابقة، وذلك يقودنا إلى القول في نهاية المطاف أن المقصود بالسجود هنا في العلق كان سجودا حقيقيا وأن لفظة الصلاة التي وردت فيها إنما كانت مجازا علاقته العموم أي أنها لفظة وردت باللفظ العام وأريد بها الخاص وهو السجود.

١٣- سجدة سورة الحِجْرِ: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾"١٥٦"، وتعتمد هذه السورة أيضًا على افتتاح ينطلق من إثبات كون القرآن الكريم منزل من الله تعالى: ﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ﴿١﴾ ﴾ لينتقل تعالى نحو تسلية نبيه صلى الله عليه وسلم بأن كل الأمم السابقة التي أهلكها الله تعالى كان لها كتاب معلوم: ﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٤﴾ ﴾ مخاطبًا جل وعلا الذين ينكرون بعثة نبيه صلى

الله عليه وسلم وقرآنه الذي أنزل معه، ثم ينتقل تعالى إلى الحديث عن قدرته وخلقه للعالم وتنظيمه له وفق مقادير دقيقة، ليعود مجددًا إلى الخلق الأول والحوار مع الملائكة ومع إبليس الذي أبى السجود، ومن ثم يعرض تعالى قصة عذاب قوم لوط وتخليصه تعالى له منهم، ثم أصحاب الأيكة الذين ظلموا أنفسهم بعد أن أرسل الله إليهم رسولا يدعوهم إلى السجود، لتختتم السورة بقوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾، وهذا العرض لحال المنكرين يستوجب منا السجود خضوعا واعترافا بالانتماء إليه تعالى عسى أن لا يحشرنا محشر المشركين وينجينا من عذابه الأليم، فالحساب يوم القيامة عسير وكلنا مسؤول عما كنا نفعل بالتفصيل، وفي الأمر الموجه إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم حثٌ على أن نتبعه كلنا في سجودنا وعبادتنا، مقرين بالعبودية والخضوع التام عسى أن يحشرنا جل وعلا تحت لوائه صلى الله عليه وسلم.

السجدات الثلاث التي يختلف سياقها:

بقيت لدينا ثلاث سجدات يختلف السياق الذي وردت فيها عن سياق باقي آيات سجود التلاوة:

١- سجدة سورة الحج الثانية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾"[١٥٧]"، وفي هذه السجدة على الرغم من توفر سياق قبل هذه الآية يقترب من السياقات السابقة إلا أن موضعها مختلف عن موضع سجدات التلاوة، فموضوع التهديد والوعيد متوفر في الأغلبية الغالبة من السور القرآنية، وسورة الحج ابتدأت بسياق يتحدث عن الخلق والوعيد لمنكري القدرة الإلهية، ولكن هذا السياق انتهى مرات عديدة ليدخل الخطاب القرآني في سياق جديد، وسجدة الحج الثانية جاءت في سياق خطاب مع المؤمنين لحثهم على السجود والركوع والعبادة، ولم يقترن هذا السياق بالتخويف، ففي الغالب كانت هناك دعوة للمؤمنين بالسجود ولكن إما على سبيل المقابلة مع الكافرين

وحالهم الذي يقوم على الاستكبار، أو على سبيل المقابلة بحال من هم عند الله تعالى من الدائمي السجود، وأما هنا فقد وردت السجدة في نسق الآيات الآتية: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٧٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨ ﴾"[١٥٨]" وكأن المقصود بالسجود هنا الصلاة لأنها من جهة رافقت مع الركوع والعبادة وفعل الخير والجهاد، ومن جهة أخرى فإن هذه الآيات تتحدث عن الغاية من هذه الأفعال ألا وهي الفلاح والحصول على شهادة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم،، وهذا السياق لم يرد في أي سجدة من سجدات التلاوة.

٢- سجدة سورة النمل: ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ٢٤ أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ٢٥ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩ ٢٦ ﴾"[١٥٩]"، وهذه السورة تشبه السور سابقاتها التي تتوفر على سجدة تلاوة إذ يفتتحها الله تعالى بالحديث عن القرآن الكريم: ﴿ طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٖ ١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ٥ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ٦ ﴾"[١٦٠]"، إذ تساق الآيات لإثبات أن القرآن الكريم وحي من الله تعالى ثم يتوعد الله تعالى الكافرين بالعذاب والانتقام في الآخرة لأنهم لم يؤمنوا به تعالى، ومن ثم ينتقل الخطاب القرآني إلى عرض طرف من قصة سيدنا موسى عليه السلام وخصوصا ذلك المتعلق منها باتهام قومه له بالسحر والادعاء، ويتركز الخطاب الإلهي هنا على مسألتين هما: العلم الإلهي الذي يمنحه الله تعالى لأنبيائه، وحضهم على عدم الخوف مع وجوده جل وعلا معهم ناصرًا ووليًا: ﴿ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٠ ﴾"[١٦١]"، ثم

ينتقل الحديث إلى قصة سليمان عليه السلام وبين تعالى فيها كيف منحه الله تعالى علما واسعا فكان يعرف منطق الطير ومنطق النمل وله جنود من الجن والإنس، حتى بعث الله تعالى الهدهد لكي يريه أنه يمكن للطير أن يكون أعلم منه: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾"[١٦٢]"، وبعد أن عرض الهدهد ما يجري في سبأ: ﴿ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾"[١٦٣]"، حتى أننا لا نعلم على وجه اليقين فيما إذا كان هذا الخطاب من الله تعالى أم من الهدهد، ونرى أن موقف السجدة هنا قائم على معنى العلم مخالفًا المواضع السابقة في السجود التي قامت على التسليم والخضوع وترك الاستكبار، وعلى الرغم من توفر هذه المعاني في الآيات السابقة وفي آية السجود نفسها إلا أن سردها على لسان الهدهد يستبعد إمكانية كونها سجدة تلاوة، وأما إذا كانت هذه الآية من ضمن الخطاب الإلهي المتوجه إلينا فمن الممكن مع توفر السياق الدلالي المحيط أن تكون سجدة تلاوة لأن السورة افتتحت بالكلام عن القرآن الكريم وكونه منزلا من قبل الله تعالى ويتضمن هذا السياق أيضًا التهديد والوعيد لكل من يأبى السجود مما يجعل من الممكن أن تكون سجدة تلاوة، كما يمكن النظر إلى السياق المتعلق بالعلم الإلهي أن المقصود منه توجيه النبي محمد صلى الله عليه وسلم بأن علم الله تعالى محيط بكل شيء وأن الله تعالى هو الذي يقدر كل شيء وهو جل وعلا يعلم متى يعاقب ومن بالضبط وكيف، وأن الأنبياء ليس عليهم إلا الدعوة والتبشير والإنذار.

٣- سجدة سورة ص: ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ ﴾"[١٦٤]"، ووضع السجدة مشكل لأن لفظ الركوع ورد في الكثير من المواضع في القرآن الكريم بدون أن يكون فيها سجدة تلاوة، ومع ذلك فإن ورود السجدة في هذا الموضع لا يعني أن كل موضع وردت فيه لفظة الركوع يسن فيها السجود، وذلك أن هذا الأمر متوقف عند الفقهاء على سنة السجود المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك

فإن ما يمكننا إضافته هنا هو أن لفظ الركوع في هذه الآية مقيد بالخرور، وهو صوت الماء والريح والعُقاب إذا حفّتْ"[١٦٥]"، فداود عليه السلام لسرعة نزوله ساجدًا صار له صوت أثناء هويه إلى الأرض، ولهذا سُمي السجود هنا ركوعًا مجازًا؛ لأنه عليه السلام شعر بأنه وقع في الفتنة الإلهية وأنه قد وقع في الخطأ بسببها، ولهذا خرَّ مسرعًا مصدرًا صوتًا في هويه ساجدًا لله تعالى وعائدًا إليه، ومع ذلك فقد ورد الخرور مع السجود في القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ﴾"[١٦٦]" حول أخوة يوسف عليه السلام، وقال تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾﴾"[١٦٧]"، وهو خرور مرتبط بالبكاء ذي الصوت، وقال تعالى: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾﴾"[١٦٨]" دلالة على النزول إلى أقصى ما يمكن من النزول دلالة على الخضوع التام.

وفي لسان العرب تُستعمل لفظة ركع بمعنى الخضوع فركع: طأطأ رأسه، ويقال ركع الرجل إذا افتقر بعد غنى، والركوع الانحناء، ويقال: ركع الشيخ، انحنى من الكبر، والركوع الهوي إلى الأرض، وركع، أي: كبا وعثر"[١٦٩]"، ونرى من ذلك أن لفظ الركوع قريب من لفظ السجود في التعبير عن الخضوع مع التذكير ببعض الفروق بينهما فطأطأة الرأس قائمة فيهما ولكن الافتقار بعد الغنى لا يستعمل فيه معنى السجود، كما لا يطلق السجود على الانحناء بسبب الكبر ولا على الهوي إلى الأرض ولا على الكبو، ومن هذه المعاني التي تنماز عن معاني السجود يمكننا القول أن الركوع يُستعمل لعموم الهبوط والوقوع والتعثر والكبو وأنه لا يشترط فيه وضع الجبهة على الأرض، على أننا يجب أن لا ننسى أن الركوع خضوع والسجود عبودية وتذلل.

وعلى الرغم من كثرة ورود الركوع في القرآن الكريم بصيغ تشبه صيغ السجود إلا أنه لم يرد في أي منها نص على وجوب الركوع أو السجود عدا سجدة (ص) ولهذا ما جاء تفسير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لهذه السجدة بقوله: (سَجَدَهَا دَاوُدُ تَوْبَةً، وَنَسْجُدُهَا شُكْرًا)"[١٧٠]" لشعوره صلى الله عليه وسلم أنه ليس موضع سجدة.

الهوامش

١ – للمزيد من التفصيل حول هذه الخلافات الخاصة بسجدة التلاوة ينظر: سجود التلاوة وأحكامه، صالح بن عبد الله اللاحم، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٩هـ، و ينظر في الخلاف حول السجدة عند الفقهاء مختصر اختلاف العلماء، أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي، تحقيق عبد الله نذير أحمد، دار البشائر الإسلامية، ط٢، ١٤١٧هـ ، والمحلى بالآثار، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري، دار الفكر بيروت، د. ط، د.ت. وغيرهما من الكتب التي عرضت لهذه الخلافات بشكل تفصيلي لا مجال لسردها هنا.

٢ – ينظر البناية شرح الهداية، أبو محمد محمود بن أحمد العيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٠، ٢: ٦٥٤.

٣ – الأعراف: ٢٠٦.

٤ – الرعد: ١٥.

٥ – النحل: ٤٩– ٥٠.

٦ – الإسراء: ١٠٧– ١٠٩.

٧ – مريم: ٥٨.

٨ – الحج: ١٨.

٩ – الحج: ٧٧.

١٠ – الفرقان: ٦٠.

١١ – النمل: ٢٣– ٢٥.

١٢ – السجدة: ١٥.

١٣ – ص: ٢٤.

١٤ – فصلت: ٣٧– ٣٨.

١٥ – النجم: ٦٢.

١٦ – الانشقاق: ٢١.

١٧ – العلق: ١٩.

١٨ – الحجر: ٩٨، وقد نقل القرطبي عن ابن العربي قوله في أحكام القرآن: (ظَنَّ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْأَمْرِ هُنَا السُّجُودُ نَفْسَهُ، فَرَأَى هَذَا الْمَوْضِعَ مَحَلَّ سُجُودٍ فِي الْقُرْآنِ، وَقَدْ شَاهَدْتُ الْإِمَامَ بِمِحْرَابِ زَكَرِيَّا مِنَ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ طَهَّرَهُ اللهُ، يَسْجُدُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ وَسَجَدْتُ مَعَهُ فِيهَا، وَلَمْ يَرَهُ جَمَاهِيرُ الْعُلَمَاءِ). وأضاف: (قَدْ ذَكَرَ أَبُو بَكْرٍ النَّقَّاشُ أَنَّ هَاهُنَا سَجْدَةً عِنْدَ أَبِي حُذَيْفَةَ وَيَمَانٍ بن رئاب، وراي أنها واجبة)، ينظر تفسير القرطبي: ١٠/ ٦٣، وقد ورد هذا الرأي في الموسوعة الفقهية الكويتية.

١٩ – ص: ٢٥.

٢٠ – ص: ٢٤.

٢١ – ينظر الفقه على المذاهب الأربعة، ١: ٤٢٥.

٢٢ – ينظر أحكام القرآن لابن العربي، ٢: ٢٧٢.

٢٣ – فصلت: ٣٧.

٢٤ – ينظر الموسوعة الفقهية الكويتية، ٢٤: ٣١٦.

٢٥ – فصلت: ٣٨، وقد فصل ابن العربي في كتابه أحكام القرآن (٢: ٢٧٢) القول في هذه السجدة فقال: (فَقَالَ مَالِكٌ: مَوْضِعُهُ: {كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} وَقَالَ ابْنُ وَهْبٍ وَالشَّافِعِيُّ: مَوْضِعُهُ {وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ} لِأَنَّهُ تَمَامُ الْكَلَامِ، وَغَايَةُ الْعِبَادَةِ وَالِامْتِثَالِ، وَقَدْ كَانَ عَلِيٌّ وَابْنُ مَسْعُودٍ يَسْجُدَانِ عِنْدَ قَوْله تَعَالَى: {إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَسْجُدُ عِنْدَ قَوْلِهِ: {يَسْأَمُونَ} وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: اُسْجُدُوا بِالْآخِرَةِ مِنْهُمَا، وَكَذَلِكَ يُرْوَى عَنْ مَسْرُوقٍ، وَأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ؛ وَإِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ، وَأَبِي صَالِحٍ؛ وَيَحْيَى بْنِ وَثَّابٍ، وَطَلْحَةُ، وَالْحَسَنُ، وَابْنُ سِيرِينَ، وَكَانَ أَبُو وَائِلٍ، وَقَتَادَةُ، وَبَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ يَسْجُدُونَ عِنْدَ قَوْلِهِ: {يَسْأَمُونَ}. وللمزيد ينظر: الفقه على المذاهب الأربعة: ١: ٤٢٥ .

٢٦ – النمل: ٢٥.

٢٧ – النمل ٢٦.

٢٨ – ينظر التبيان في آداب حملة القرآن، ١٣٩ – ١٤٠.

٢٩ – ١٤٠٣ – حديث مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ورد في سنن أبي داود برقم ١٤٠٣ ونصه: (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا أَزْهَرُ بْنُ الْقَاسِمِ، – قَالَ مُحَمَّدٌ رَأَيْتُهُ بِمَكَّةَ – حَدَّثَنَا أَبُو قُدَامَةَ، عَنْ مَطَرٍ الْوَرَّاقِ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَسْجُدْ فِي شَيْءٍ مِنَ الْمُفَصَّلِ مُنْذُ تَحَوَّلَ إِلَى الْمَدِينَةِ) ينظر سنن أبي داود: ٢: ٥٨، وأما في مصنف عبد الرزاق فيقول في الحديث المرقم: ٥٩٠٤ في ج٣: ٣٤٣ : (عَمَّنْ، سَمِعَ عِكْرِمَةَ يُحَدِّثُ قَالَ: سَجَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمُفَصَّلِ إِذْ كَانَ بِمَكَّةَ يَقُولُ: ثُمَّ لَمْ يَسْجُدْ بَعْدُ).

٣٠ – ينظر الاقناع في مسائل الإجماع، ١: ١٩١.

٣١ – الاتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، ١٩٧٤، ج١: ٦٩، وينظر دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل، دار المنار، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٩، ص ٤٧.

٣٢ – سجود التلاوة معانيه وأحكامه، ابن تيمية، ٣١.

٣٣ – ينظر لسان العرب مادة سجد.

٣٤ – الأعراف: ٢٠٦.

٣٥ – النمل:٢٣– ٢٥.

٣٦ – الانشقاق: ٢١.

٣٧ – الرعد: ١٥.

٣٨ – النحل: ٤٩– ٥٠.

٣٩ – الحج: ١٨.

٤٠ – الحج: ٧٧.

٤١ – الفرقان: ٦٠.

٤٢ – فصلت: ٣٧– ٣٨.

٤٣ – النجم: ٦٢.

٤٤ – العلق: ١٩.

٤٥ – الإسراء: ١٠٧.

٤٦ – مريم: ٥٨.

٤٧ – السجدة: ١٥.

٤٨ – الحجر: ٩٨.

٤٩ – ص: ٢٤.

٥٠ – يوسف: ٤.

٥١ – يوسف: ١٠٠.

٥٢ – البقرة: ١٢٥.

٥٣ – الحج: ٢٦.

٥٤ – الرحمن: ٦.

٥٥ – آل عمران: ١١٣.

٥٦ – الإنسان: ٢٦.

٥٧ – آل عمران: ٤٣.

٥٨ – الزمر: ٩.

٥٩ – التوبة: ١١٢.

٦٠ – الأعراف: ١٢٠.

٦١– الشعراء: ٤٦.

٦٢ – الشعراء: ٢١٨–٢١٩.

٦٣ – البقرة: ٥٨.

٦٤ – النساء: ١٥٤.

٦٥ – الأعراف: ١٦١.

٦٦ – النحل: ٤٨.

٦٧ – طه: ٧٠.

٦٨ – الفرقان: ٦٤.

٦٩ – الفتح: ٢٩.

٧٠ – ينظر: دراسات في علوم القران، فهد الرومي، ١٣٠.

٧١ – النحل: ٤٩.

٧٢ – حديث مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ورد في سنن أبي داود برقم ١٤٠٣ ونصه: (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا أَزْهَرُ بْنُ الْقَاسِمِ، – قَالَ مُحَمَّدٌ رَأَيْتُهُ بِمَكَّةَ – حَدَّثَنَا أَبُو قُدَامَةَ، عَنْ مَطَرٍ الْوَرَّاقِ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَسْجُدْ فِي شَيْءٍ مِنَ الْمُفَصَّلِ مُنْذُ تَحَوَّلَ إِلَى الْمَدِينَةِ) ينظر سنن أبي داود: ٢: ٥٨، وأما في مصنف عبد الرزاق فيقول في الحديث المرقم: ٥٩٠٤ في ج٣: ٣٤٣ : (عَمَّنْ، سَمِعَ عِكْرِمَةَ يُحَدِّثُ قَالَ: سَجَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمُفَصَّلِ إِذْ كَانَ بِمَكَّةَ يَقُولُ: ثُمَّ لَمْ يَسْجُدْ بَعْدُ).

٧٣ – الحديث في صحيح البخاري برقم (٢٥٠) وبرقم (٥٢٠) .

٧٤ – الحديث في صحيح البخاري برقم: (٤٩١) عن قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، عن بَكْرٌ وَهُوَ ابْنُ مُضَرَ، عَنِ ابْنِ الْهَادِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ.

٧٥ – الحديث في سنن النسائي برقم: (١١٣٩) :أَخْبَرَنَا أَبُو عَمَّارٍ الْحُسَيْنُ بْنُ حُرَيْثٍ، قَالَ: أَنْبَأَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي الْوَلِيدُ بْنُ هِشَامٍ الْمُعَيْطِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَعْدَانُ بْنُ طَلْحَةَ الْيَعْمُرِيُّ، قَالَ:.....).

٧٦ – الحديث برقم (٢١٥) من صحيح مسلم.

٧٧ – ورد الحديث برقم (٣٤٥٧٧) في مصنف أبن أبي شيبة.

٧٨ – ينظر صحيح البخاري بالرقم: (٨٣٠) و(١٢٢٥) و(٣٢٨٥) وغيرها الكثير.

٧٩ – الحديث في صحيح مسلم برقم(٦٨٠) عن مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمٍ، وَيَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدَّوْرَقِيُّ، كِلَاهُمَا عَنْ يَحْيَى، قَالَ ابْنُ حَاتِمٍ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ كَيْسَانَ، حَدَّثَنَا أَبُو حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

٨٠ – الحديث في سنن النسائي برقم (١٧٧١) عن مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ، قَالَ: أَنْبَأَنَا إِسْحَقُ بْنُ الْفُرَاتِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَيُّوبَ، قَالَ: حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: أَنْبَأَنَا نَافِعٌ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنْ حَفْصَةَ.

٨١ – الحديث في صحيح البخاري برقم: (١٦١٦)عن إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ، حَدَّثَنَا أَبُو ضَمْرَةَ أَنَسٌ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا طَافَ فِي الحَجِّ أَوِ العُمْرَةِ، أَوَّلَ مَا يَقْدَمُ سَعَى ثَلاَثَةَ أَطْوَافٍ، وَمَشَى أَرْبَعَةً، ثُمَّ سَجَدَ سَجْدَتَيْنِ، ثُمَّ يَطُوفُ بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ)

٨٢ – الأعراف: ٢٠٦.

٨٣– الأعراف: ١٩٦– ١٩٨.

٨٤ – الأعراف: ٢٠٣– ٢٠٦.

٨٥ – فاطر: ٤٠.

٨٦ – ينظر جامع البيان في تأويل القرآن، ١٣: ٣٥٧.

٨٧ – ينظر على سبيل المثال مفاتيح الغيب للرازي، ١٥: ٤٤٥، وزاد المسير، ٢: ١٨٥.

٨٨ – ينظر النكت والعيون، تفسير الماوردي، ٢: ٢٩١.

٨٩ – إحسان سلوك العبد المملوك إلى ملك الملوك، أبو محمد عبد الكريم بن صالح بن عبد الكريم الحميد، ١٧٤.

٩٠– الرعد: ١٤.

٩١ – ينظر : غريب القرآن ١٩٥.

٩٢ – ينظر جامع البيان في تفسير القرآن: ١٦: ٤٠٣، وفي تفسير الثعلبي أنه كان يقول بل طوعا يا رباه، ينظر تفسير الثعلبي ٥: ٢٨٢..

٩٣ – ينظر بحر العلوم للسمرقندي، ٢: ٢٣٢، وتفسير ابن عطية، ٣: ٣٠٦.

٩٤ – ينظر الدر المنثور، ٤: ٦٣٠.

٩٥ – لطائف الإشارات، ٢: ٥٣٥.

٩٦– الإسراء: ٤٤.

٩٧ – روح المعاني، ٧: ١٢٠.

٩٨ – التحرير والتحبير، ١٣: ١١١.

٩٩ – الرعد: ١٦.

١٠٠ – ينظر التحرير والتنوير: ١٣: ١١٣.

١٠١ – بحر العلوم، ٢: ٢٧٦.

١٠٢ – الإسراء: ٤٤.

١٠٣ – ينظر الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، ١: ٤٧٧.

١٠٤ – النمل: ١٨.

١٠٥ – التحرير والتنوير: ١٤: ١٧١.

١٠٦ – الإسراء: ١٠٧– ١٠٩.

١٠٧ – ينظر، تفسير الطبري، ١٥: ٥٧٨.

١٠٨ – ينظر لسان العرب، ذقن.

١٠٩– جمهرة الأمثال، ٢: ٢٣٨.

١١٠ – الكشاف، ٢: ٦٩٩.

١١١ – ينظر الكشاف، ٢: ٧٠٠.

١١٢ – ينظر اللباب ١٢: ٤٠٨.

١١٣ – روح البيان، ٥: ٢١١.

١١٤ – ينظر: روح المعاني، ٨: ١٧٩.

١١٥ – مفاتيح الغيب، : ٢١: ٤١٧.

١١٦ – إحياء علوم الدين، الغزالي، ١: ٢٧٧.

١١٧ – التحرير والتنوير: ١٥: ٣٢٥.

١١٨ – مريم: ٥٨.

١١٩ – مريم: ٦٨– ٧١.

١٢٠ – الحج: ١٨.

١٢١– الحج: ٣.

١٢٢ – الحج: ١٧، وأما آيات الجدل والوعيد السابقة فهي تبدأ من الآية رقم ٣.

١٢٣ – الفرقان: ٦٠.

١٢٤– الفرقان: ٥٩.

١٢٥ – التحرير والتنوير: ١٩: ٦٣.

١٢٦ – السجدة: ١٥.

١٢٧ – السجدة ١٢– ١٤، والآيات السابقة تبدأ من افتتاح سورة الإسراء حتى الآية ١٢.

١٢٨ – ينظر التحرير والتنوير: ٢١: ٣٢٨.

١٢٩ – فصلت: ٣٧– ٣٨.

١٣٠ – فصلت: ١٣.

١٣١ – فصلت: ٣٨.

١٣٢ – النجم: ٦٢.

١٣٣– النجم: ١–٢.

١٣٤– النجم: ٣٢.

١٣٥– النجم: ٣٨–٤٤.

١٣٦– النجم: ٥٥–٦٢.

١٣٧ – الانشقاق: ٢٠–٢١.

١٣٨ – ينظر التحرير والتنوير: ٣٠: ٣٣٠.

١٣٩ – العلق: ١٩.

١٤٠ – يذكر مكي بن أبي طالب القرطبي أن هذه رواية ابن وهب، ينظر الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش القيرواني ثم الاندلسي القرطبي المالكي (ت ٤٣٧هـ) تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكتب الدراسات العليا والبحث العلمي، الشارقة بإشراف أ. د. شاهد البوشيخي، نشر مجموعة بحوث الكتاب والسنة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ط١، ٢٠٠٨، ج١٢/ ص ٨٣٦٣.

١٤١ – ينظر تفسير ابن أبي حاتم: ١٠/ ٣٤٥١.

١٤٢ – مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي ،

ط٣، ١٤٢٠هـ، ٣٢/ ٢٦٦.

١٤٣ – العلق: ٦.

١٤٤ – الحديث برقم (٣) في صحيح البخاري.

١٤٥ – الحديث برقم (٤٩٥٥) في صحيح البخاري.

١٤٦ – ينظر الحديث المرقم (٤٩٥٦) من صحيح البخاري.

١٤٧ – ينظر الحديث المرقم (٦٩٨٢) من صحيح البخاري.

١٤٨ – ينظر الحديث المرقم (٤٩٥٣) من صحيح البخاري.

١٤٩ – والمسألة نفسها نلفيها في روايات صحيح مسلم ينظر صحيح مسلم الأحاديث برقم: (٢٥٢) و(٢٥٣) و(٢٥٤).

١٥٠ – ينظر النكت والعيون تفسير الماوردي، أو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت٤٥٠هـ) تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ط، د.ت، ج: ٦، ص٣٠٧.

١٥١ – صحيح البخاري برقم: (٣٥٠)، ويؤيده الحديث المرقم: (٣٩٣٥) برواية عائشة رضي الله عنها أيضًا، وقد ورد أيضًا في صحيح مسلم برقم: (٦٨٥).

١٥٢ – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أو تفسير الالوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الالوسي، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥، ١٥/ ٤٠٥.

١٥٣ – ينظر البداية والنهاية، ٣: ١٠٨.

١٥٤ – ينظر دلائل النبوة، البيهقي، ٢: ٣٥٥.

١٥٥ – ينظر السيرة الحلبية، ١: ٥١٥، وللمزيد من الاستعراض للخلافات حول تاريخ الاسراء والمعراج ينظر: الروض الآنف، ٢: ٢٨٥، وإمتاع الأسماع للمقريزي، ١: ٤٨ وغيرها من المصادر

١٥٦ – الحجر: ٩٨.

١٥٧ – الحج: ٧٧.

١٥٨ – الحج: ٧٥– ٧٨.

١٥٩ – النمل: ٢٤–٢٦.

١٦٠ – النمل: ١– ٦.

١٦١ – النمل: ١٠.

١٦٢ – النمل: ٢٢.

١٦٣ – النمل: ٢٣– ٢٥.

١٦٤ – ص: ٢٤.

١٦٥ – ينظر لسان العرب: خرر.

١٦٦ – يوسف: ١٠٠.

١٦٧ – مريم: ٥٨.

١٦٨ – الإسراء: ١٠٧.

١٦٩ – ينظر: لسان العرب: ركع.

١٧٠ – ورد في صحيح البخاري الحديث المرقم: ٤٨٠٧: (حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ الطَّنَافِسِيُّ، عَنِ العَوَّامِ، قَالَ: سَأَلْتُ مُجَاهِدًا، عَنْ سَجْدَةٍ فِي ص، فَقَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ: مِنْ أَيْنَ سَجَدْتَ؟ فَقَالَ: أَوَ مَا تَقْرَأُ: {وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ}. {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُّ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ} [الأنعام: ٩٠] (فَكَانَ دَاوُدُ مِمَّنْ أُمِرَ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقْتَدِيَ بِهِ، فَسَجَدَهَا دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَسَجَدَهَا رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وهذا ما يؤيد ما ورد في الحديث الذي رواه النسائي برقم: (٩٥٧) في سننه: (أَخْبَرَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْحَسَنِ الْمِقْسَمِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ عُمَرَ بْنُ ذَرٍّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَعِيدِ بْنُ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَجَدَ فِي ص وَقَالَ: (سَجَدَهَا دَاوُدُ تَوْبَةً، وَنَسْجُدُهَا شُكْرًا).

المراجع والمصادر

- **القرآن الكريم.**

١. الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، ١٩٧٤.

٢. أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله بن العربي، مراجعة وتخريج وتعليق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ٢٠٠٣.

٣. إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د. ط، د، ت.

٤. الإقناع في مسائل الإجماع، علي بن محمد بن عبد الملك ابن القطان، تحقيق حسن فوزي الصعيدي، دار الفاروق للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤.

٥. إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي، تحقيق محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٩.

٦. البناية شرح الهداية، أبو محمد محمود بن أحمد العيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٠.

٧. التبيان في آداب حملة القرآن، أبو زكريا محيي الدين النووي، تحقيق محمد الحجار، دار ابن حزم، بيروت، ط٣، ١٩٩٤.

٨. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، د. ط، ١٩٨٤.

٩. تفسير ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد ابن أبي حات، تحقيق أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ط٣، ١٤١٩هـ.

١٠. تفسير ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

١١. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير القرطبي، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، مصر، ط١، ٢٠٠٠.

١٢. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد القرطبي، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٤.

١٣. جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، دار الفكر، ط٢، ١٩٨٨م.

١٤. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الفكر، بيروت، د. ط، د.ت .

١٥. دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل، دار المنار، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٩.

١٦. دلائل النبوة ومعرفة أحوال الصحابة، أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥.

١٧. روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى المولى أبو الفداء، دار الفكر، بيروت، لبنان، د. ط، د.ت.

١٨. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أو تفسير الالوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الالوسي، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥.

١٩. الروض الآنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، تخفيف عمر عبدالسلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠.

٢٠. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج الجوزي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢١. سجود التلاوة معانيه وأحكامه، تقي الدين أبو العباس ابن تيمية، تحقيق فواز أحمد زمرلي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٩٩٦.

٢٢. سجود التلاوة وأحكامه، صالح بن عبد الله اللاحم، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٩هـ.

٢٣. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د. ط، د.ت.

٢٤. سنن النسائي، المجتبى من السنن، السنن الصغرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٩٨٦.

٢٥. السيرة الحلبية، إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، علي بن ابراهيم بن أحمد الحلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٧هـ.

٢٦. صحيح مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط، د.ت.

٢٧. غريب القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق أحمد صقر، دار الكتب العلمية، د. ط، ١٩٧٨.

٢٨. الفقه على المذاهب الأربعة، عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٣.

٢٩. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٣٠. اللباب في الفقه الشافعي، أحمد بن محمد بن أحمد المحاملي الشافعي، تحقيق عبد الكريم بن صنيتان العمري، دار البخاري، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٦هـ.

٣١. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٣٢. لطائف الإشارات، تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط٣، د.ت.

٣٣. المحلى بالآثار، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري، دار الفكر بيروت، د. ط، د.ت.

٣٤. مختصر اختلاف العلماء، أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي، تحقيق عبد الله نذير أحمد، دار البشائر الإسلامية، ط٢، ١٤١٧هـ.

٣٥. مصنف أبن أبي شيبة، الكتاب المصنف في الاحاديث والأذكار، أبو بكر بن أبي شيبة، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.

٣٦. مصنف عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي الهند، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٣٧. مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي ، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٣٨. الموسوعة الفقهية الكويتية، عن دار الأوقاف والشؤون الإسلامية ودار السلاسل ودار الصفوة، الكويت ومصر، ١٤٠٤- ١٤٢٧هـ.

٣٩. النكت والعيون تفسير الماوردي، أو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت ٤٥٠هـ) تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ط، د.ت، ج: ٦، ص ٣٠٧.

٤٠. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش القيرواني ثم الاندلسي القرطبي المالكي (ت ٤٣٧هـ) تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكتب الدراسات العليا والبحث العلمي، الشارقة بإشراف أ. د. شاهد البوشيخي، نشر مجموعة بحوث الكتاب والسنة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ط١، ٢٠٠٨.